السبت 4 تموز 2020
العدد 4091 السنة الرابعة عشرة
Samedi 4 Juillet 2020 no 4091 14ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

إيزابيل الليندي
يا له من كوكب مريض

«قيصر» لضرب السلطة المركزية السورية: التقسيم الاقتصادي أوّلاً! [12]

الدولار يتراجع في السوق السوداء: «تصحيح تلقائي» أم خشية الصرّافين من المصارف؟ [4]

كيلو اللحم إلى 100 ألف ليرة؟ [6]

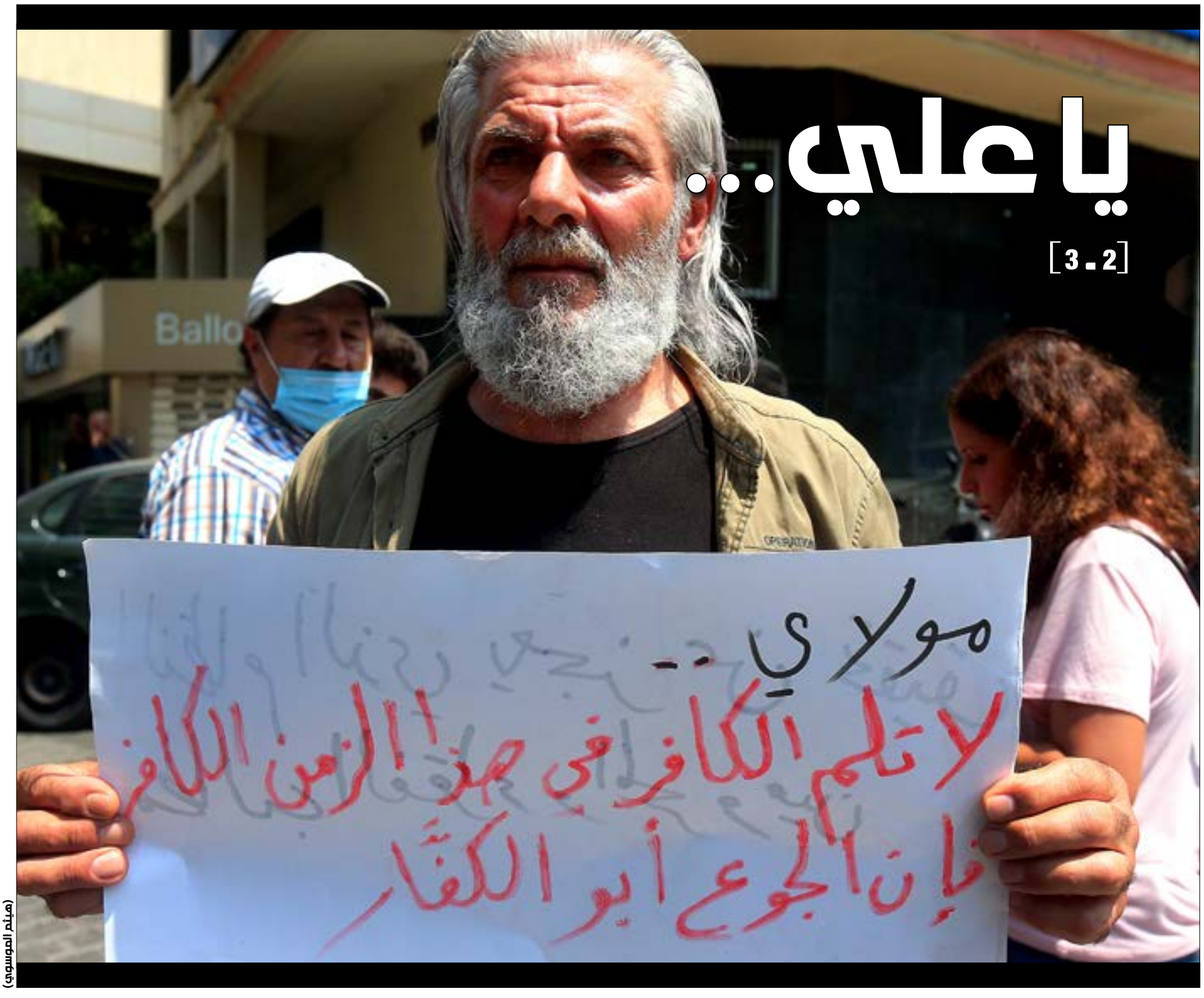

يا علي...

[3 ـ 2]

(هيثم الموسوي)

تقرير

الاكتفاء الذاتيّ جنوباً: **ليس للقمح من يزرعه!**

6

على الحافة

لجنة مقالع الترابة: **وزارة البيئة بلا رؤية**

7

العراق

مصطفى الكاظمي: **اختبار النجاح... فالبقاء!**

14

على الغلاف

علي الهقّ... شهيد الإبعاد والإفقار: أنا مش كافر

يمكن اعتبار قضية علي الهق تكثيفاً للواقع اللبناني: هاجر بحثاً عن حياة افضل، أُبعِد، سياسياً وظُلماً، من الإمارات العربية المتحدة، عاد إلى البلاد التي تنهشها منظومة تمعن في الثراء على حساب عامة الناس. ضاقت به السبل والأحوال، قبل أن يعلم إصابته بمرض عضال. هكذا يقول بعض اقاربه. قرر الرحيل

(أ ف ب)

إيلاده الغصين

التحق علي الهق (1959-2020) أمس، بموكب شهداء منظومة القهر. قرّر الانسحاب من مواجهة الذلّ اليومي، كما فعل سامر حبلي في اليوم نفسه للمصادفة. مثلما فعل، قبلهما، جورج زريق وناجي الفليطي ودائي أبي حيدر واللاجئ السوري بسّام حلاّق... وقد تطول اللائحة. والمفارقة الموجعة، أنّ جميعهم آباء تركوا أبناء يواجهون وحدهم قدر العيش في هذا البلد. هؤلاء اختاروا مُجبرين شكل رحيلهم. غير أنّ المشترك بينهم أنّهم لم يطيقوا

> **يعمل في محلّ لبيع المواد الغذائيّة والحبوب والزيوت، لكنّ راتبه لم يكن كافياً**

احتمال الذلّ أكثر، وغادروا قبل أن يشاهدوا من سيسقط بعدهم على مذبح النظام. حملوا معهم أوجاعاً نفسيّةً وجسديّةً ومعنويّة، لا يمكن أحداً إدراكها أو تكهّن ثقلها عليهم. كانوا أكثر نقاءً من كلّ ما يُقال، أو سيُقال، بعد رحيلهم. وفي قصّة علي، تحديداً، الذي أبى إلا أن يعطي وجهه ويترك سجلاً عدليّاً نظيفاً مرفقاً بعبارة «أنا مش كافر»، شاهداً على جثمانه... قد نفهمُ الخوف من جَلْد المجتمع.

اختار علي شارع الحمرا النابض بالحياة مسرحاً لمقتله، في مدخل مبنى يضمّ مسرحَين ومقاهي وشهود عيان كثراً. قرابة العاشرة قبل الظهر، سمع الموجودون صوت الطلقة الناريّة التي اخترقت رأسه واستقرّت في زجاج السلّم المؤدّي إلى الطبقة الأولى في المبنى التجاري. «كان يجلس على كرسيّ، أجلس عليه عادةً عند مدخل المبنى، فيما لحظة الحادثة كنت جالساً في المقهى المجاور. حين سمعتُ الطلقة، التفتُ نحو مصدرها، وإذا به يسقط على الأرض، وكان قد غطّى وجهه بمنشفة. حرص في لحظات نزاعه على أن لا يتفوّه بكلمة «آخ»، لم يقل شيئاً، شاهدناه يشدّ المنشفة لتغطّي رأسه، ثمّ فتح ذراعيه واستسلم. كان هاتفه في حوض الزهور قرب الكرتونة التي حملت علم لبنان وسجلّه العدلي وعبارة أنا مش كافر. وصل الإسعاف بعد دقائق. فيما بقي الجثمان حتى الواحدة والنصف بعد الظهر، ممدّداً بوجود الأدلّة الجنائيّة». هذه شهادة رواها بالغصّة والدموع، أحد شهود العيان ممن يعملون في حراسة المبنى، وتتقاطع مع شهادات موظّفَين آخرين أكّدوا أنه لم يقل شيئاً.

أجبر علي، ابن الهرمل وسكان الضاحية الجنوبية، على العودة إلى لبنان «قبل سنتين تقريباً، مع المبعدين سياسياً من دولة الإمارات، بعدما كان حاله ميسوراً، وجد نفسه بلا شيء ولا تعويض، خسر ما جناه، وتعرّض لاحتيال من قبل شخص حاول التشارك معه في العمل»، كما يقول أحد أقربائه لـ«الأخبار». ويضيف: «ترك ابنتين راشدتين، يعيش معهما في منزل مستأجر في منطقة المريجة، ويعمل في محلّ لبيع المواد الغذائيّة والحبوب والزيوت، لكنّ راتبه لم يكن كافياً». قريبه الآخر يشير إلى «أن الجوع ليس سبب انتحار علي، لكنّها تراكمات وضغوط اجتماعيّة، ومرض عضال علم بإصابته به وأثّر عليه». هذه روايات أقارب له، بعيدون عن مكان سكنه، ولا يعلمون تفاصيل «قد لا نعرفها». أحدهم رآه قبل يومين، «لكنّه كتومٌ ولم يبح بشيء». أحد أشقّائه الذي حضر إلى مكان الحادثة لاصطحاب الجثمان، ردّد، وفق شهود عيان، أنّ «شقيقي اتّصل بي وأوصاني بعائلته من دون أن أفهم السبب». هكذا انتظر جثمان علي أن تقبل المستشفيات الخاصة بتقبّله إليها، وأن تنهي الأدلّة الجنائيّة بحثها عن «أدلّة»... فيما أقفال الدولة والحكومة وجمعيّة المصارف وحزب المصارف والصيارفة ومصاصي دماء الشعب، واضحة، بأدلّة دامغة لا تُبس فيها.

اكتفى علي بأن يؤكّد أنه ليس بكافر، تاركاً لتأويلاتنا أن تزيد ما تريد، ولكلمات أغنية زياد الرحباني أن تشرح ان الكفّرة هم الجوع والذلّ وعدم القدرة على الهجرة وجشع الرأسماليّين وتجّار الدين، وكلّ «الإشيا الكافرين» التي تُمعن المنظومة في غرسها في قلب الشعب. توافد العشرات فقط، من الغاضبين مما جرى، بشكل عفوي. أرادوا أن يهزّوا السُبات وضمير المسؤولين، لكنّ معظمهم غادر مخذولاً لأن حادثة علي لم تتحوّل إلى واقعة بو عزيزي جديدة. هتف الغاضبون ضدّ النظام، أضاؤوا الشموع ووضعوا الورود في الموقع، ودوّنوا أسماء شهداء المنظومة، والعبارة نفسها التي اختارها علي تأويلاً أخيراً لرحيله.

سامر حبلي الذي قتله الدَّين

أمال خليل

ليس مألوفاً على صيدا خبر الانتحار. تتحاشى المدينة التداول بأمر انتحار أحد أبنائها لدواعٍ اجتماعية ودينية. لكن انتحار سامر حبلي (كما تفيد الروايات الأولية) ليل الخميس الفائت، استدعى حالة عارمة من التضامن مع الفقير البائس الذي بات كثيرون يشبهونه. تشابه أقله في اضطراره إلى الإقامة خارج المدينة، حيث الإيجارات وكلفة المعيشة أرخص. فاختار استئجار مسكن في وادي الزينة (ساحل إقليم الخروب) بعيداً بأقل من عشرة كيلومترات عن مدينته. قبل سنوات، كان الشاب الثلاثيني يعمل قصاباً، ومع تفاقم الأزمة الاقتصادية أخيراً، أقفلت الملحمة التي كان يعمل فيها. لم ييأس. ناضل للبحث عن مصدر رزق بديل يعيل زوجته وابنته الوحيدة. استأجر «فان» لنقل الركاب. أصبح بالكاد يحصّل قوت يومه. إلى أن سرقت التعبئة العامة لمواجهة كورونا ذلك القوت القليل. انسحب الإقفال العام على حركة النقل المشترك، قبل أن تسمح وزارة الداخلية والبلديات بعمل الباصات وسيارات الأجرة، إنما بعدد ركاب أقل لحفظ التباعد الاجتماعي. عدد ركاب أقل تزامن مع ارتفاع جنوني في أسعار السلع، ضيّق الخناق على حبلي المحاضر أساساً بالديون المتراكمة عاماً بعد عام. حتى إنه قبل سنوات قليلة، سار برجليه نحو السجن لأنه لم يتمكن من دفع غرامة ضبط سير حررته بحقه القوى الأمنية. وعلى غرار الكثيرين، هام أخيراً بين أقاربه ومعارفه وأبناء مدينته باحثاً بينهم عمّن يستدين منه ليوفر القوت اليومي وإيجار البيت. لكنه لم يفلح. أسرته أصدقاؤه يشبهونه في ضيق الحال. منتصف ليل الخميس الفائت، بحسب ما روى أقرباؤه، «وبعد عودته إلى منزله من زيارة مع زوجته، دخل إلى إحدى الغرف وأقفل الباب على نفسه. وبعد فترة من الوقت، شعرت الزوجة بغيابه. قرعت الباب من دون إجابة. فخرجت لتنظر إليه من النافذة الخارجية فوجدته متدلّياً من السقف مشنوقاً بقطعة قماش». القوى الأمنية التي فتحت تحقيقاً بالحادث «توصلت إلى وفاة حبلي انتحاراً»، بحسب مصدر أمني. بعد ظهر أمس، ووري الثرى في مدينته صيدا. أما زوجته فقد «غادرت إلى منزل عائلتها في البقاع» وفق أحد أقرباء زوجها. فماذا عن ابنته؟ إذا ارتاح سامر من قهر الدنيا، فإنه أورث ابنته ذات التسع سنوات قهراً لا ينتهي ليس أقله اليتم. بعض المتضامنين معها «تعهد بكفالتها من قبل إحدى جمعيات الرعاية الاجتماعية في المدينة لأن وضع إخوته المادي ليس أقل سوءاً من وضعه» قال قريب حبلي. انتحار حبلي أذكى التحركات الاحتجاجية في ساحة إيليا في بوابة الجنوب. فور تداول خبر الحادثة صباحاً، تداعى ناشطون للتجمع عند ساحة النجمة وساروا في تظاهرة رمزية باتجاه تقاطع إيليا، حيث قطعوا الطريق أمام السيارات لبعض الوقت. ومساء، تجددت التجمعات الاحتجاجية في إيليا، تخلّلها قطع للسير مؤقتاً.

مقالة

كيف نوقف موتنا الآتي؟

بيار أبي صعب

سيبقى الثالث من تموز/ يوليو 2020 يوماً أسود، يوماً شديد السواد، يوماً فظيعاً، في عمر الجمهوريّة المشرّعة على الحداد والكوارث المقبلة. جمهوريّة الذل، جمهوريّة الظلام الحالك، جمهوريّة الإفلاس، جمهوريّة الجوع، جمهوريّة اللصوص، هي حكماً جمهوريّة الموت. أمام الموت المحتوم، تبدو الخيارات محدودة: فإما أن ننتظره ببرود ولامبالاة، أو بذعر وقلق، وإما أن نذهب نحن إليه، فنختصر عذاب الانتظار. هذا ما فعله، قبل ظهر أمس علي الهق، في شارع الحمرا البيروتي، وما فعله مصطفى حبلي في منزله في جوار صيدا... كأنّ يداً خفيّة نسّقت هذا الطقس الذي ليس إلا فاتحة التراجيديا، واستباقاً لجنازتنا الجماعيّة الآتية. مسدس هنا، وحبل مشنقة هناك: رسالة وداع إلى شعب عاجز مستسلم لقدره، إلى دولة منهارة لم تحسب يوماً حساباً لأبنائها، إلى طغمة حاكمة لم يبق لها ما تسلبه إلا أرواحنا، بعدما أخذت كل شيء وما زالت تطالب بالمزيد. رسالة وداع إلى وطن مستحيل لا يقدم لنا إلا الموت. فلنمسرح هذا الموت إذاً، فلنستملكه، فلنجعله احتفالاً تراجيدياً... هذا هو احتجاجنا - بل انتقامنا - الأخير.

الموت خلاصاً وحيداً متبقياً في بلد منهار لا أحد يجرؤ على إنقاذه؟ لأن إنقاذه ليس رسالة إنسانية، ولا فعل خير، ولا تمارين حسابيّة، ولا مهمّة سامية من النوع الذي يضطلع به مبشّرو المنظمات غير الحكومية وخبراؤهم. الخلاص الوحيد الممكن هو وضع حدّ للسياسات المسؤولة عن بؤسنا وانهيارنا، تلك التي دفعت بنا إلى أحط دركات الفقر والجوع والإفلاس. هناك من خدعنا عقوداً، ومن سرقنا عقوداً، وما زال يمسك بزمام الأمور، بعنجهية وثقة وفوقية واحتقار للشعب. هناك من أضاع فرصاً ثمينة لتفادي الأسوأ، عبر تصحيح أخطائه وضبط فساده، ولجم جشعه. هناك من يواصل حتى صباح مقتلكما، عرقلة الحلول الاقتصادية البديلة، لأن سجّاننا الأكبر وسيّده ومعلّمه، قرر ذلك. ولأن المطلوب اليوم تجويعنا لإخضاعنا واستباحة حقوقنا. في حين أنه الوقت المثالي لإعلان القطيعة مع هذا النظام الطفيلي التابع، وبناء دولة مدنية عادلة، ذات سيادة فعلية في اختيار شركائها وحلفائها، وإصلاح فعلي وجذري، واقتصاد منتج لا مكان فيه للسماسرة والمرابين والقوادين ومصاصي الدماء.

الثالث من تموز/ يوليو 2020 يوم أسود في سجل الجمهوريّة التي لن تتذكّر شيئاً. يُفجع الأهل والزملاء، ويغضب الناس قليلاً أو كثيراً، ويتبارز الكتبة في فنون التباكي والغضب المعلّب، وتستغل الآلة الإعلاميّة الفاجعة لذرف دموع التماسيح وإنعاش الاستعراض الآسن، ويمشي القتلة الفعليّون في الجنازة، يتقاذفون المسؤوليات والاتهامات، يتاجرون بدماء علي ومصطفى، كما فعلوا من قبل بدماء جورج زريق الذي انتحر مطلع العام الماضي أمام مدرسة ابنتيه في الشمال، وكما فعلوا بدماء ناجي الفليطي الذي انتحر في عرسال أواخر العام الماضي... ثم تعود طاحونة التجويع والإفقار والنهب المنظّم إلى حركتها «الطبيعيّة».

ماذا جئت تفعل في شارع الحمرا يا علي، بعدما جهّزت قرائن اتهامنا بعناية؟ المسدس والعلم اللبناني والسجل العدلي النظيف وتلك الورقة البيضاء التي كتبت عليها بالأحمر العريض، بخط متوتّر نزق، السطر الأوّل من أغنية زياد الرحباني «أنا مش كافر». هل كانت كلمات الأغنية تدور في رأسك بشكل متواصل في البرهة الفظيعة التي سبقت اللحظة الحاسمة؟ «بس الجوع كافر/ بس المرض كافر/ بس الفقر كافر والذل كافر...». أغنية السخرية والغضب، صارت نشيد اليأس والموت. لا أحد سيعرف إن كنت تعمدتَ اختيار «مسرح المدينة» الذي يصارع هو الآخر من أجل البقاء! يا لها من خلفية نموذجيّة لهذه المأساة. من سيكتب قصتك، من سيكتب تاريخنا الحقيقي؟ صاحب المتجر الصغير المتعثّر في الضاحية، صار بطلاً تراجيدياً. ومثله سائق التاكسي الذي لا يملك ما يشتري به دواءً لزوجته المريضة، تركها تنام هي وابنتهما، وتسلّل على رؤوس أصابعه إلى حبل المشنقة. هذا الحبل ليس لرقبتك يا مصطفى. نريده أن يلتف على رقاب الذين ينهشون لحمنا الحي منذ عقود. هؤلاء الذين نهبوا البلد دهراً، ثم هرّبوا مليارات الدولارات إلى الخارج كي تبقى أنت معدماً وتنقطع بك السبل. والآن يريد أصحاب المصارف وحاكمهم ونادي الواحد في المئة تجريد الدولة من أملاكها، والسطو على آخر ما نملك. يخططون لسرقته من درب الأجيال المقبلة، ليمسحوا خسائرهم ومنهوباتهم، ويغسلوا فساد الحكّام. وبعدها يستأنف رجال المال والأعمال والسياسة - وهم واحد في النهاية - بزنسهم القديم، ويعيدون إحياء «الأعجوبة الاقتصاديّة اللبنانيّة».

> **ما لم نصبح شعباً قادراً على تغيير مجرى التاريخ، فكلّنا قتلة علي ومصطفى وناجي وجورج**

حبل المشنقة لم يكن من المفروض أن يلتفّ على عنقك، بل على أعناق أباطرة النظام الطائفي المافيوي واحداً واحداً، أولئك الذين سرقوك وأذلّوك وتركوك تجوع، فيما هم منشغلون باحتكاراتهم، وكارتيلاتهم، وصفقاتهم، ومحاصصاتهم، ومكرماتهم، وسمسراتهم، وشركاتهم، ومقاوليهم، وأرصدتهم، وثرواتهم المنهوبة من تعبنا. تصوّر أنّهم لم يرتدعوا حتّى بعدما دقت طبول الإنذار! انظر، من حيث أنت الآن، كيف يقفون على شفا الهاوية ماضين في تناتش الامتيازات والحصص، وتأجيج سعار العصبيات الطائفية. وعلينا أن نعترف هنا، بأننا تركناهم طويلاً يفعلون كل ذلك بنا. تركناهم يتلاعبون بالقوانين، ويساومون على كرامتنا، ويهرّبون العملاء، لينقذوا ثرواتهم الحرام، وزعاماتهم الضلال، وطموحاتهم المستقبليّة الآثمة. أما زال هناك من مستقبل؟ تركناهم يا مصطفى، تركناهم يا علي. بل دعمناهم، وصفّقنا لهم، وهتفنا باسمهم، ودافعنا عنهم، وأعدنا انتخابهم وانتخاب أولادهم ونسائهم وأخواتهم... يدُنا سنّت، بكل طيب خاطر، السكين التي ستذبحنا.

اليوم، من خلف الهتافات المجروحة وصرخات الغضب، نسمعكما جيّداً. وصيّتكما إلينا واضحة: أن نوقف موتنا الآتي. لكن كيف؟ ما لم نصبح شعباً جديراً بهذا الاسم، قادراً على مواجهة الكارثة، وتغيير مجرى التاريخ، فكلّنا قتلة علي، وكلّنا قتلة مصطفى، وناجي، وجورج... وكلّنا سنموت مثلكم في يوم لم يعد بالبعيد، بؤساً ويأساً وقهراً وغضباً وجوعاً، وقد تخلّى عنّا العالم أجمع.

المشهد السياسي

الدولار يتراجع في السوق السوداء: «تصحيح تلقائي» أم خشية الصرّافين من المصارف؟

بري - باسيل: اتفاق على بديل «كرول»

يستكمل الرئيس حسان دياب فتح الأبواب أمام خيارات في الشرق، لمواجهة الحصار الأميركي المفروض على لبنان. فبعد الصين، عقد دياب لقاءً مع وفد وزاري عراقي لمناقشة سبل التعاون بين بيروت وبغداد، حيث جرى طرح العديد من الأفكار التي ستكون آلية تنفيذها بمثابة اختبار جدي للحكومة

ما مدى جدّية اندفاعة الرئيس حسان دياب إلى خيارات الشرق؟ سؤال فرض نفسه غداة المحادثات التي بدأها دياب مع السفير الصيني وانغ كيجيان، بحضور عدد من الوزراء أول من أمس، واستكملها باجتماعات مع الوفد الوزاري العراقي الذي وصل إلى بيروت، وتحدث عن تسهيلات ستكون في متناول لبنان لمساعدته في الخروج من أزمته، ولو جزئياً. وفيما كانت أصداء المواقف المتشدّدة التي أطلقها دياب أخيراً ضد «أدوات خارجية تعمل لإدخال لبنان في صراعات المنطقة»، وحديثه عن «تعطيل إجراءات الحكومة لمعالجة ارتفاع سعر الدولار الذي باتت لعبته مكشوفة ومفضوحة»، كانت محطّ قراءة لما انطوت عليه من إشارات عن استعداد حكومته لفتح باب ظلّ مقفلاً، ووقف استرهان لبنان للمواجهة التي تريدها الولايات المتحدة الأميركية مفتوحة ضد المقاومة، تبيّن أن اللقاءات والاتصالات السياسية التي طوّت طلائع سحب البساط السياسي من تحت أقدام الحكومة أعادت لها بعضاً من حيويتها.

فبعد استجابة الحكومة العراقية لدعوة لبنان الى التعاون الثنائي، استقبل دياب أمس وفداً عراقياً رفيع المستوى، ضمّ كلاً من: وزير النفط إحسان عبد الجبار اسماعيل، الزراعة محمد كريم جاسم، النائب السابق حسن العلوي، مرافق وزير النفط سيف طلال عمران التميمي،

(هيثم الموسوي)

مرافق وزير الزراعة ضرغام محمد كريم، عن مكتب رئيس الوزراء العراقي عمار صباح مصطفى، القائم بأعمال السفارة العراقية في لبنان أمين النصراوي والمستشار السياسي في السفارة أحمد جمال. وحضر الاجتماع كل من: وزير النفط عماد حب الله، الزراعة عباس مرتضى، الطاقة والمياه ريمون غجر، المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم، مستشار رئيس الحكومة خضر طالب ومدير مكتب دياب القاضي خالد عكاري. وكانت أولوية النقاش، بحسب مصادر الاجتماع، البحث في ملف النفط والمواد الزراعية. وقالت المصادر إن من أبرز النقاط التي تحدث عنها الوفد العراقي هو «التحضير لمشروع قانون يعفي لبنان من دفع رسوم جمركية على المواد الزراعية والصناعية والغذائية التي يُمكن أن يستوردها العراق من لبنان».

كما تحدث الوفد عن «مشاريع قوانين للتحفيز على الاستثمار الزراعي والصناعي داخل العراق، بحيث يُمنح للمواطنين اللبنانيين الراغبين في الاستثمار تحفيزات مثل تقديم أراضٍ بمساحات كبيرة لإقامة مزارع للدواجن والأبقار أو مصانع إنتاج من دون دفع ضرائب». أما في موضوع النفط، فحكي عن «أنواع المشتقات التي يُمكن للعراق أن يرسلها الى لبنان، ومنها الفيول، وإمكانية تخفيض الأسعار إلى النصف أو تأجيل مدة الدفع أقله الى ما بعد عام، بالإضافة الى أفكار أخرى سيكشف عنها تباعاً».

وبعد لقاء رئيس الحكومة، زار الوفد العراقي رئيس مجلس النواب نبيه بري، بحضور الوزيرين حب الله وعباس مرتضى وعضو هيئة الرئاسة في «حركة أمل» قبلان قبلان. ووصفت مصادر مطلعة أجواء اللقاءات بأنها «إيجابية جدّاً وأن من اتفاقية منطقة التجارة الحرة لعام 2002، والتعاون النفطي على خط طرابلس - كركوك وتسهيل دخول المنتجات الزراعية ومشاركة شركات الهندسة والمقاولات اللبنانية في إعادة الإعمار وحلّ مستحقات الشركات على الحكومة. كما طرح موضوع مذكرة التفاهم الصحي والاستفادة منها وخفض كلفة الاستشفاء والحركة السياحية والتعاون الأكاديمي.

من جهة أخرى، وبعد البلبلة التي أثيرت حول مصير الحكومة وعودة الرئيس سعد الحريري، أشار رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل في تصريح له عبر مواقع التواصل الاجتماعي إلى أننا «انتهينا من التسوية، بكفي كم دفعنا ثمنها، واهم شيء اليوم أن تنفّذ الحكومة الإصلاحات، والمجلس النيابي يقرّها، وحاكم مصرف لبنان رياض سلامة يضبط الدولار». وكان هذا الكلام هو فحوى اللقاء الذي جمعه بالرئيس بري، أول من أمس، بالإضافة إلى الاتفاق على السير في التدقيق المالي المحاسبي والجنائي، ولكن عبر شركة غير «كرول» المعروفة بارتباطها بأكثر من جهاز مخابرات في الشرق الأوسط، ومنه جهاز «الموساد». وقد أتى هذا الاتفاق بعد خلاف كبير بين التيار الوطني الحر وحركة أمل حول هذا الأمر بسبب إصرار رئيس الجمهورية العماد ميشال عون على تنفيذ قرار مجلس الوزراء القاضي بإجراء عملية تدقيق محاسبية مركّزة Forensic audit في مصرف لبنان لتبيان الأسباب الفعلية التي آلت بالوضعين المالي والنقدي الى الحالة الراهنة، وتمسكه بشركة «كرول» التي رفضتها حركة أمل وحزب الله، فيما اتهم التيار الرئيس بري بأنه يرفض مبدأ التحقيق الجنائي ويتذرّع بالشبهة التي تحيط بالشركة، إلا أن موقف الحزب الرافض أيضاً دفع في اتجاه سحب اسم الشركة من التداول، بانتظار أن يكشف هذا الاتفاق صدق نيات الأطراف السياسية. وفي هذا الإطار، علمت «الأخبار» بوجود اسمَي شركتين في جعبة الرئيس دياب يُمكن الاستعانة بهما في هذا المجال، لكنه لم يعلن عنهما بعد.

> الوفد العراقي تحدّث عن مشاريع قوانين للتحفيز على الاستثمار الزراعي والصناعي داخل العراق

تراجع سعر الدولار في السوق السوداء

على صعيد آخر، سجّل سعر الدولار في السوق السوداء أمس انخفاضاً طفيفاً، بعد أسابيع من الارتفاع المتواصل. ولم تتّضح أسباب التراجع المفاجئ، وبحسب مصادر معنية، ثمة ثلاثة تفسيرات لما جرى:

1- إما أن السوق تصحّح نفسها بنفسها، لأن الارتفاع في السعر مبالغ به بصورة كبيرة. وهذا «التصحيح» يعني إمكان أن يتبعه ارتفاع مجدداً.

2- أن يكون الصرافون قد اعتبروا إعلان حاكم المصرف المركزي رياض سلامة عن بدء تأمين دولارات الاستيراد عبر المصارف خطوة في إطار إجراءات تخفض سعر الدولار في السوق السوداء، فقرروا خفض السعر خشية خسارة ما لديهم مستقبلاً.

3- أن يكون خفض السعر في إطار المضاربة، ولتشجيع من يملك الدولارات على بيعها، من أجل إعادة رفع السعر في الأيام المقبلة وتحقيق أرباح إضافية.

(الأخبار)

الوفد العراقي أبدى استعداداً كبيراً للتعاون، وهناك الكثير من الأفكار التي يمكن تنفيذها وتساعد في تخفيف الضغط عن لبنان، لكنها تحتاج إلى آليات لترجمتها وقد تأخذ وقتاً». واعتبرت المصادر أن «المهم هو أن تكون الحكومة جدية في انفتاحها وأن لا يُصار إلى عرقلة هذه الاندفاعة من داخلها، وهنا سيكون الاختبار الحقيقي»، معتبرة أن «الأهم أيضاً هو القبول أيضاً بالعون الذي تقدّمه إيران».

وقد أثارت زيارة الوفد العراقي للبنان حفيظة بعض المحسوبين على حراك العراق، فشنوا هجوماً على الرئيس مصطفى الكاظمي وحكومته. وكان الأخير قد استقبل السفير اللبناني في بغداد علي أديب الحبحاب في أيار الماضي، وتسلّم منه رسالة خطية تتضمن تهنئة واستعداداً للتعاون، وقد أثيرت في اللقاء عدة مسائل، منها الاستفادة من الخبرة العراقية في مجال الكهرباء، وإمكانية تزويد لبنان بالنفط بأسعار تفضيلية، وتسهيل عبور الشاحنات اللبنانية إلى الأسواق العربية، وتسهيل دخول المنتجات الزراعية اللبنانية إلى العراق، وإمكانية تشغيل شركات لبنانية في مجال الإعمار في العراق.

تقرير

تحقيق بسرقة في «كازينو لبنان»

(هيثم الموسوي)

يوم 22 حزيران، أرسل المدير العام لكازينو لبنان، رولان خوري، رسالة إلى جميع المديرين ورؤساء الأقسام، ليُبلغهم «تشكيل لجنة تحقيق بمخالفة حصلت في صالة الألعاب في حزيران». تألفت اللجنة من: طوني دونللي، كارول دايفس، روجيه نوفل، سليمان الدويهي، جان كلود زيادة وربيع حبيقة. ومن المفترض أن تسلّم تقريرها النهائي مع الفيديوات إلى خوري الثلاثاء المقبل أو الأربعاء صباحاً «على أبعد تقدير»، بحسب مصادر إدارة «الكازينو». وقد كُتب في المذكرة الداخلية أنّ «الإدارة ستأخذ التدابير الشديدة وفق النتائج التي ستصلها، وصولاً إلى الصرف من الخدمة». القضة التي يتمّ التحقيق بها هي «شُبهة سرقة» تتمّ على طاولات اللعب، والقبول بدفع رهانات غير قانونية بالاشتراك مع الزبون.

اكتُشف الموضوع قبل قرابة الشهر، «لكن لم يتمّ، حتى الآن، تحديد الفترة التي امتدّت خلالها العملية، مع وجود تقديرات بأن يكون الأمر قد تكرر 8 مرّات، منها مرّتان ثابتتان». وبحسب التقديرات، فإنّ قيمة المبلغ المأخوذ بطريقة «غير شرعية»، يتراوح ما بين الـ 7 و8 ملايين ليرة في الليلة.

المجموعة «المُشتبه بها» تتشكّل من: مراقب على طاولات القمار (الروليت)، مُشرف في غرفة المراقبة، مدير غرفة المراقبة الذي سمح باستمرار دخول المُشرف خارج أوقات عمله. القضة التي يتمّ التحقيق بها، أنّ أحد الزبائن كان مُتفقاً مع مُراقب الطاولة ليلفظ الرقم الذي يُراهن عليه بطريقة غير مفهومة، فيتمكّن من الربح مهما أتت النتيجة. وحين كان موزّع الطاولة يقول لهما إنّ الرقم غير صحيح، والزبون لا يجب أن يفوز، كان مُراقب الطاولة يستعين بغرفة المراقبة (الكاميرات)، حيث الاتفاق مع أحد المُشرفين عليها ليؤكّد جوابهما. وبحسب المعلومات، فإنّ مراقب الطاولة المُشتبه به مُمتنع عن الذهاب إلى «الكازينو» حالياً. أجواء الموظفين داخل المرفق السياحي تتحدّث عن أنّ «الأرجح أن تُلصق التُهمة بمراقب الطاولة فقط، في حين أنّ مصادر رسمية داخلية تؤكّد أنّه «لا يُمكن التنبؤ بالنتيجة بعد. النقطة الوحيدة المُثبتة أنّ الأحكام ستتراوح بين الطرد النهائي من الوظيفة وشطب درجات».

القضية التي يتم التحقيق بها ليست الأولى بتاريخ كازينو لبنان، فقد حصل سابقاً أن اكتُشفت «احتيالات» على الطاولات، ولكنّها أول مرّة تحصل بعهد رولان خوري. كما أنّ الطرد، لو تمّ، لن يكون الأول، بعدما طرد أحد الموظفين الذي ثبُت إرساله زبائن إلى قبرص التركية.

(الأخبار)

في الواجهة

كرول تفقأ الدملة: مَن يحكم الحكومة؟

بات يصحّ وصف حكومة الرئيس حسان دياب بالعبارة التي صوّر فيها زاهي البستاني، ذات يوم، مازقاً وطنياً في الثمانينات محكم الإغلاق: نحن في نفق طويل كله أكواع، لا يعرف المارّ فيه كم كوعاً ينتظره، وماذا وراء كلّ كوع؟

نقولا ناصيف

ظلت حكومة الرئيس حسان دياب، حتى الأيام القليلة المنصرمة، تصدّق كذبة الطبقة السياسية لها أنها مستقلة، إلى أن كذّبت هي نفسها بنفسها. ما رافق الجلسات الأخيرة لمجلس الوزراء، برهن لدياب أنه أضحى وحيداً. وقد يكون المستقلّ الوحيد في حكومة لم يختر بنفسه كل وزرائها. وزراؤه ليسوا وزراءه، والوزراء المستقلون ليسوا إلا وزراء الكتل التي سمّتهم، ومنها يستمدّون قراراتهم. بات من البساطة، بانقضاء سبعة أشهر على تأليف الحكومة، أن يقول وزراء إنهم يتحدثون باسم فريقهم السياسي الذين لم يكونوا مرة، قبل توزيرهم، في عداده. من قبل، في جلسة التعيينات المالية والإدارية، ائتمر وزيران بفريقهما السياسي وتغيّبا معاً عن تيارهما، تيار المردة، حاز حصته فيها. صار من السهل أيضاً سماع مرجع ورئيس حزب يهدد بسحب وزرائه من الحكومة.

كل ذلك كان ينتظر مَن يفقأ الدملة، قبل أن يتأكد دياب أن حكومة التكنوقراط والمستقلين التي يترأسها ليست حكومته. مع أنه صدّق الكذبة يوم ألّفها.

كل الأحاديث الأخيرة دارت حول بقاء حكومة دياب أو استقالتها. عندما يُسأل رئيسها عن ذلك، يُقدّم في وقتين مختلفين إجابتين متناقضتين: أولى، لن يستقيل، قبل أن يضيف أنه لا يريد أن يمضي وقتاً طويلاً في تصريف الأعمال على جاري حال تأليف الحكومات. وثانية، أن الضعف الذي يضرب حكومته يجعلها أقرب ما تكون من الآن إلى حكومة تصريف أعمال للسنتين المقبلتين، في إشارة صريحة إلى المدة المتبقية من ولاية الرئيس ميشال عون. بيد أن أحداً لا يتوقع منه أن يستسلم إلى القدَر الذي يجعله يبادر هو إلى تقديم الاستقالة. بعض مَن اعتاد استشارتهم، أو استمزاج آرائهم، نصحوه بالتهديد بالسلاح القوي والأمضى الذي بين يديه، وهو استقالته، في مرحلة ليس سهلاً على عرّابي حكومته الوصول إلى اتفاق على رئيس جديد للحكومة، كما على أعضائها. وافق على ما سمعه منهم، من أن تنحيه يفتح أبواب مازق شتى. بيد أنه تبرّم من تواصل حملات التضييق عليه، يوماً بعد آخر، ممّن يفترض أنهم الآباء الشرعيون لحكومته، على نحو مختلف لما رافق ما بعد استقالة الرئيس سعد الحريري في 29 تشرين الأول الفائت، عندما تأجل إجراء الاستشارات النيابية الملزمة 50 يوماً، ريثما يصير إلى الاتفاق على الحكومة قبل تكليف رئيسها، ما تعذّر حصوله وقتذاك، فإن الخوض الآن في حكومة جديدة تخلف حكومة دياب - بالحريري أو سواه - يوجب سلفاً قبل استقالتها، الاتفاق على الخلف وعلى تركيبتها في أن تفادياً للدخول في مجهول لا أحد يعرف متى ينتهي وكيف.

على نقيض ما قاله دياب عن إنجازات حكومته، والنسبة التي قدّرها لها في مئة يوم، وهي 97%، يكاد لا يُعثر في سجل حكومته على واحد ذي شأن يُذكر. بل تخلت عن معظم ما اقترحت حصوله، أضف أن أياً من مشاريع الإصلاح التي تعهّدتها لم يبصر النور. فشل دياب في إقرار التشكيلات القضائية التي أوردها في البيان الوزاري لحكومته وقد عدّتها

> طلب دياب من مجلس الوزراء انتزاع تفويض التوقيع من وزني فلم يوافق

في رأس سلم الإصلاحات، وكان ساله عنها مراراً سفراء دول كبرى مهتمة بلبنان. مع أن التصويب الفعلي هو على رئيس الجمهورية الذي أحجم عن توقيع التشكيلات اعتراضاً عليها، إلا أن دياب اكتفى بتوقيعه فلم يقترن بالإصرار عليها، وفضّل في التعاطي معها ما بينه ورئيس الجمهورية كأنها مسؤولية الرئيس حصراً، فيما حكومته محايدة. كل ما تقترحه يسقط على طاولة مجلس الوزراء من الكابينال كونترول وصولاً إلى التدقيق التشريحي لحسابات مصرف لبنان الذي أقره مجلس الوزراء في 24 آذار، وكلاهما اقترحهما وزير المال غازي وزني، وكلاهما أيضاً تخلى عنهما صاحب الاقتراح. لم تمر التعيينات المالية والإدارية إلا بعدما رضخ رئيس الحكومة إلى المحاصصة التي رفضها في المرة الأولى، ثم انضم إليها. كذلك حصل مع معمل سلعاتا للكهرباء، سقط ثم عُوّم، لأن ثمة أحداً من خارج الحكومة هو رئيس حزب رئيس الجمهورية يريد المعمل في هذا المكان. خاض دياب معركة خاسرة لإقالة حاكم مصرف لبنان رياض سلامة، كان رئيس الجمهورية بادئ بدء رأس حربتها. ثم أضحى الحاكم يشارك في جلسات مجلس الوزراء، رغم ماخذ الوزراء على أن حضوره يكون في الغالب غير مجد، بدعوى أنه لا يريد إفهامهم ما يريدون أن يعرفوا ويفهموا. فوق ذلك كله، تبدو حكومة دياب أضعف من مقدرتها في الدفاع عن خطتها الإصلاحية الاقتصادية، بعدما طعن مصرف لبنان وجمعية المصارف في أرقامها، ثم انقلبت عليها لجنة تقصّي الحقائق النيابية، وتحولت مشكلة في المفاوضات مع صندوق النقد الدولي، أتت استقالة المدير العام لوزارة المال الآن ببغائي وتأكيده أن صاحبة الخطة تبدو كأنها تخلت عنها.

عندما شعر في 15 حزيران بأن ثمة تباطؤاً متعمداً في توقيع العقد مع شركة كرول للتدقيق الجنائي، اقترح دياب على مجلس الوزراء اتخاذ قرار يقضي بانتقال التفويض المعطى إلى وزير المال بالتوقيع إليه، فعارضه في المرة الأولى. عاود طرح انتقال التفويض إليه في الجلسة ما قبل الأخيرة لمجلس الوزراء، فخذله أيضاً. ثم أثيرت عاصفة من حول شركة كرول. الذريعة المعلنة أن علاقات أمنية تجمعها بإسرائيل، مع أن مصرف لبنان سبق أن استعان بها في عقود مع بنك انترا وشركة طيران الشرق الأوسط، وتعاملت قبلاً مع الكويت، وهي في صدد التعاون مع إيران، فيما يرفض التعاون مع الشركة الحلفاء اللبنانيون للجمهورية الإسلامية. لم تمر على رئيس الحكومة، كما على وزراء مؤثرين، دعابة أن الشركة قد تفشي أرقام مصرف لبنان وأسراره إلى الإسرائيليين والأميركيين، في وقت ليس خافياً على أحد أن الأرقام هذه، كما معظم ما لدى مصرف لبنان من أسرار وملفات مالية وسياسية، في حوزة الأميركيين منذ زمن طويل.

مع أن موضوع شركة كرول طُوي في جلسة الأربعاء، ولم يُثر في جلسة الخميس، وقد يعاد إلى الخوض فيه، مع شركة بديلة محتملة، في جلسة مجلس الوزراء الثلثاء المقبل، إلا أن بعض المعطيات التي أحاطت بنسف الاتفاق مع كرول، قدّمت أحدث الأدلة الحسية، وليس أخرها بالضرورة، لدياب على أن حكومته تدار من خارجها، وليس من على طاولة مجلس الوزراء. عندما أعلن وزير المال أنه لن يوقّع العقد مع الشركة، برّر الأسباب بأنه «تبيّن لنا»، من غير الإفصاح عن تقارير أو معلومات، أنها على صلة بإسرائيل. وقد لا يكون سراً أن لا شركة دولية ليس في عداد موظفيها إسرائيليون، من غير أن يكونوا حضروا إلى لبنان، أو لا تتعامل مع الدولة العبرية. ثم أعطى وزني جواباً ثانياً لوزيرة العدل ماري كلود نجم، التي شاركت وزارتها في إعداد عقود التعاون مع الشركات الثلاث إحداها كرول، ثبّت رفض التعاون مع كرول بالقول: الفريق السياسي الذي أنتمي إليه لا يوافق على التعامل معها لأن لدينا معلومات عن تعاونها مع إسرائيل، لا بل مع الموساد. كما أن فريقي السياسي لا يوافق على التدقيق الجنائي، لأن من شأنه أن يؤدي إلى افتعال دعاوى دولية ضدنا.

دياب لا يستقيل: نحن حكومة تصريف أعمال للسنتين المقبلتين (مروان طحطح)

قضية

«اختفى» اللحم عن مائدة اللبنانيين والمقيمين في لبنان. من بقي يتذوقه يفعل بكميات قليلة لـ«تنكيه» الطبخة. فيما أغلقت نحو 60 في المئة من الملاحم أبوابها، أما من ظلّ منها صامداً فتتشارك كل مجموعة منها بيع ذبيحة واحدة، وعلى مدى أيام. اللحوم الموجودة في السوق اليوم مصدرها مخزون تجار المواشي الذي لن يكفي أكثر من شهر ونصف شهر. بعدها، قد يصل كيلو لحم البقر إلى 100 ألف ليرة!

«القصبة» و«النيّة» و«الفراكة» أمور «من التاريخ»!

كيلو اللحم إلى 100 ألف ليرة؟

(مروان طحطح)

رحيل دندش

«القصبة» و«الكتبة النيّة» و«الفراكة» باتت «من التاريخ». بين ليلة وضحاها، تحوّل معظم اللبنانيين والمقيمين إلى «نباتيين»، بعدما أسقطوا اللحمة من موائدهم، لا بفعل قرار شخصي، وإنما بسبب الغلاء الفاحش الذي طال أسعارها وأدى إلى «اختفائها». مع كل «طلعة» للدولار، في كل «طلعة شمس»، ترتفع أسعار اللحوم، حتى زادت ثلاثة إلى أربعة أضعاف عما كانت عليه «أيام العزّ»، عندما كان الدولار يساوي 1500 ليرة. صحيح أن جنون الأسعار طال معظم القطاعات، إلّا أن قطاع اللحوم كان الأكثر تأثراً لاعتماده أساساً على الاستيراد. هكذا طارت أسعار اللحوم، بدءاً من لحم البقر الذي ارتفع سعره من 15 ألف ليرة قبل الأزمة، إلى 55 ألف ليرة، فيما تخطى سعر كيلو لحم الغنم الـ 75 ألفاً. وهي أسعار مرشّحة للارتفاع كلّما «شطح» سعر صرف الدولار الذي تخطى أمس الـ 10000 ليرة في السوق السوداء. وهكذا، بات استهلاك اللحوم ترفاً، وعاد كثيرون إلى شرائها بـ«الأوقية» لـ«تنكيه الطبخة» فقط.

بين 50 و60 في المئة من الملاحم أغلقت أبوابها بعدما لم يعُد في مقدور أصحابها الشراء بالدولار من التجار والمسالخ. فيما بدأت ملاحم عدة تشترك في ذبح عجل واحد يستغرق بيعه أياماً عدّة! نقابة القصابين وتجار المواشي أعلنت التوقف عن شراء المواشي، إذ «أننا نستورد بالدولار الأميركي 100%»، يقول النقيب معروف بكداش. وبما أن «الدولار مفقود لدى المصارف وشبه مفقود لدى الصرافين، والدولة غائبة كان القرار بوقف الشراء». وهو قرار أملته لامبالاة الدولة تجاه مطالب القطاع، ناهيك عن أن السلة المدعومة التي أقرتها وزارة الاقتصاد، أخيراً، لم ترضِ هؤلاء. إذ يؤكّد نائب رئيس نقابة تجار اللحوم في لبنان، عبد الغني ملاح، «أن توزيع الدولار المدعوم يقوم على أساس المحسوبيات، وهذا ما يحدث عندما سلّموا رقاب اللبنانيين للصرافين»، مشيراً إلى أن «تجار المواشي واللحوم توقفوا عن الشحن من الخارج. اليوم يصرفون من المخزون الذي بالكاد يكفي شهراً ونصف شهر». وبعد ذلك؟ يجيب: «ستحلّ الكارثة على القطاع عندما نضطر للشراء وفق سعر الصرف في السوق السوداء بعد نفاد المخزون (...) إذا أردنا شراء دولار فريش اليوم من السوق السوداء وفق سعر السوق، فسنكون مجبرين على بيع كيلو اللحم بـ100 ألف ليرة»! استناداً إلى أن كيلو اللحم كان يساوي بـ15 ألف ليرة (10 دولارات) يوم كان الدولار يساوي 1500 ليرة وارتفع إلى 30 ألف ليرة يوم وصل سعر الدولار إلى 13 ألف ليرة.

ويستورد لبنان 250 ألف طن من المواشي سنوياً، وبين 20 و25 ألف طن من اللحوم المبردة والمجمدة. أما بالنسبة إلى الغنم، فأكثره من البلدي الذي يستورد من طريق سوريا (بين 3000 و4000 طن). من هنا، لا حلّ للأزمة إلّا «بأن يكون شراء الدولار المدعوم عبر المصارف حصراً ومباشرة لا عبر الصرافين، وهذا الإجراء كفيل بإعادة سعر كيلو لحم البقر إلى 30 ألف ليرة مثلاً».

ماذا عن الدجاج؟

أزمة اللحوم تشمل أيضاً تلك البيضاء. إذ شهدت أسعار الدجاج أيضاً ارتفاعاً جنونياً، فسجّل سعر كيلو الفروج 17 ألف ليرة بعدما كان أقلّ من سبعة آلاف ليرة. ورغم أن لبنان شبه مكتفٍ من الدجاج المحلي، إلا أن المشكلة تكمن في استيراد علف الدجاج الذي أُدخل أخيراً ضمن السلع المدعومة، علماً أن كلفة العلف تشكّل بين 65 و70% من كلفة الفروج. إلا أن «مفاعيل الدعم لن تظهر الآن، خصوصاً أنه مرت أيام قليلة فقط على الدعم».

> **تجار المواشي توقفوا عن الاستيراد والمخزون بالكاد يكفي شهرا ونصف شهر**

بحسب أستاذ علم الإنتاج الحيواني في الجامعة الأميركية محمد فران. من هنا، فإن نتيجة هذا الدعم «تظهر بعد 40 يوماً، وهي مدّة نمو الدجاج»، ناهيك عن أن كمية العلف المدعوم «كانت قليلة ولا تكفي حاجة البلد ولم تطل جميع المزارعين والمربين. وفي انتظار أن يفعل الدعم فعله، أقفل بعض المزارع نهائياً وخفّف بعضها من إنتاجه إلى حدّ كبير.

رئيس جمعية حماية المستهلك زهير برو أوضح لـ«الأخبار» أن «الدعم لا يحلّ أيّ مشكلة بل يفاقمها. وما من دولة في العالم تفعل ما تفعله الحكومة اللبنانية»، متسائلاً: «لماذا ندعم الحبوب والسكر والرز لكل الناس عبر إعطاء الدولار مباشرة إلى التجار الكبار المستوردين الذين هم جزء كبير من المشكلة ويستفيدون أكثر من هذه الدولارات؟». أمّا الحلّ ففي «إعطاء بونات أو أموال للفقراء مباشرة. وهذا الإجراء يكلّف دولة مفلسة كدولتنا أقل بكثير مما تدفعه من خلال ما تسميه الدعم».

عليكم بالعدس

الظروف المعيشية الصعبة باتت تفرض على اللبنانيين والمقيمين اعتماد نظم غذائية جديدة تتضمّن قدراً أكبر من الخضار والحبوب وقليلاً من اللحوم، وهو ما يمكن أن تكون له انعكاسات خطيرة على المدى الطويل. إذ تلفت الاختصاصية في التغذية وإدارة الصحة رنا أبو مراد إلى أن اللحوم هي مصدر أساس للبروتين واليود والزنك وفيتامين «ب 9» و«ب 12»، وعدم تناولها لأشهر يمكن أن يؤدي إلى عوارض إرهاق وإسهال وفقدان حاسة الذوق والشم وأضرار في الجهاز العصبي، إضافة إلى انخفاض في ضغط الدم وفقر في الدم ما يؤثر في مناعة الجسم، وخسارة البروتين وكتلة العضل من الجسم واحتباس الماء. أما بدائل اللحم التي يُنصح بها فعديدة، ومنها «العدس والقمح الكامل والبيض والخضار ذات الأوراق الخضراء الداكنة مثل الروكا والبقلة وضلوع السلق والهندبة والسبانخ، مع ضرورة إضافة الحامض إليها ليتمكّن الجسم من امتصاص الحديد منها.

قضية

سياسات الاكتفاء الذاتيّ جنوباً: ليس للقمح من يزرعه!

(علي حشيشو)

آمال خليك

مع بدء انهيار سعر صرف الليرة مقابل الدولار، شجّعت جهات عدة، رسمية وأهلية، على العودة إلى الزراعة لتحقيق الأمن الغذائي ذاتياً. الدعوات تركّزت على تشجيع زراعة القمح الذي يستورد لبنان حوالى 85 في المئة من حاجته منه. الجنوبيون الذين استجابوا لدعوات العودة «إلى الأرض»، شأنهم شأن أبناء بقية المناطق، لم تغرهم زراعة القمح كثيراً لأسباب عدة، أبرزها قلة المساحات

> **لم تنمْ زراعة القمح مقارنة بزراعة «الحواكير» او الخُضر حول المنازل التي زادت بنسبة 50٪**

الزراعية بخلاف مناطق البقاع، مثلاً، وارتباط كثيرين منهم بزراعة التبغ، ناهيك بأن الدولة تشتري كيلو القمح الحبّ بأقل من 500 ليرة. أضف إلى ذلك أن قمح الجنوب، بمعظمه، من النوع البلدي، أي الخشن والقاسي الصالح لصنع المونة المنزلية (السميد والبرغل والفريك) وليس من النوع الإيطالي الطري الذي يصلح لطحين الخبز. وبعد تشجيع مصلحة الأبحاث الزراعية على زراعة القمح، تعرّف المزارعون إلى أنواع جديدة أبرزها الأوكراني والمكسيكي الصالح للطحن. لكن بقي البلدي و«الطلياني» الأكثر انتشاراً.

سمر سرور من عيتا الشعب (بنت جبيل)، استأجر قطعة أرض ليزرعها قمحاً، مستعيداً ما كان يزرعه أهله قبل خمسين عاماً عندما كانت الزراعة في جبل عامل تقتصر بمجملها على القمح والحبوب. يقر بأن الظروف الزراعية والاستهلاكية تغيّرت كثيراً، إنما بقي الثابت الوحيد «أننا لا نبيع محاصيلنا للدولة. مش محرزة، وخصوصاً بعدما عاناه مزارعو الدخان من ابتزاز المصارف في قبض مستحقاتهم من الدولة نهاية العام الماضي». لذلك، فإن كثراً زرعوا القمح ليس للتجارة وإنما لتوفير حاجاتهم من الطحين والبرغل والسميد بعد ارتفاع أسعار المونة.

في منطقة مرجعيون، يردّد مزارعو القمح اللازمة نفسها: «لن نبيع للدولة». محمد صولي يمتهن زراعة القمح والعدس والسمسم والترمس والحمّص منذ عام 1980 في سهل بلدته الطيبة وسهول القنطرة وعدشيت بمساحة حوالى 500 دونم. يزرع القمح الخشن ويبيعه في السوق المحلي للأفراد وتجار المونة «لأنه أكثر ربحاً، ولأن الخنازير المنتشرة في المنطقة ترغب في القمح الطري». يشير إلى أن زراعة الحبوب على أنواعها كانت مزدهرة في زمن الاحتلال «عندما كانت بلدات الحزام الأمني منقطعة عن سهل البقاع ومجبرة على الاكتفاء ذاتياً». بعد التحرير، تغيّرت الخريطة الزراعية. «الأهالي كبروا في السن وأبناؤهم سافروا وتغيّرت العادات الاجتماعية والمهنية والزراعية. قبل سنوات، كانت كل عائلة تزرع القمح وتسلق جزءاً منه لصنع البرغل والسميد وتطحن الباقي للخبز. أخيراً، أصبحت أكبر عائلة تشتري أقل من عشرة كيلوغرامات من البرغل، بعد أن طغت اللحومات والوجبات الجاهزة على النظام الغذائي». الأزمة الاقتصادية المستجدّة والحجر المنزلي في زمن «كورونا» أعادا كثيرين إلى مساقط رؤوسهم. «بعض من كنت أضمن أراضيهم قرّروا زراعتها بأنفسهم هذا العام»، يقول صولي. فهل نجحت تجربتهم؟ «البعض ندم على زراعة القمح بعدما اكتشف أن كلفة زراعته على نطاق ضيق غير مربحة»، إذ أن كلفة دونم واحد من القمح، على الأقل، تتوزّع بين 25 ألف ليرة لـ«البذار»، و25 ألفاً للحراثة، وبين 30 و35 ألفاً بدل حصاد الموسم، و25 ألفاً لإيجار العامل يومياً لجمع المحصول، و50 ألفاً في الساعة لـ«الدرّاسة»، في المقابل لا يباع محصول الدونم بأكثر من 300 ألف ليرة. فيما يؤكد رئيس جمعية المزارعين أنطوان الحويك أن «المزارعين المخضرمين حصدوا محصولاً جيداً، لكنهم يحتاجون إلى موسمين وأكثر للبدء بجني أرباح صافية».

يشرح المزارع الثمانيني علي يوسف من طيرحرفا لماذا أصبحت زراعة القمح خاسرة رغم أنها زراعة «خفيفة» لا تحتاج إلى الأسمدة والمبيدات، إذ «لم يعد هناك من يزرع ويفلح على فدّان الثور أو البقرة التي يرعاها ويحصد ويدرس بمفرده. بدل اليد الواحدة في الحقل، بات صاحب الأرض يستعين بعمال كثر، فضلاً عن كلفة الاستعانة بآلات الحراثة والدراسة والحصّادة». فيما يؤكد رئيس بلدية عيترون (بنت جبيل) المهندس الزراعي سليم مراد أن نسبة زراعة القمح هذا العام ليست كبيرة مقارنة بزراعة «الحواكير» أو الخضر حول المنازل التي زادت بنسبة 50 في المئة. مع ذلك، «نسبة تأثيرها على مستوى الأمن الغذائي لا تُذكر، إذ لا تكفي المبادرات الفردية أو الحملات العابرة خارج سياسة وطنية قائمة على دعم الزراعة».

أوجيرو
من علما

مناقصة عمومية

لتلزيم أعمال التنظيفات والخدمات في مباني ومراكز وزارة الإتصالات وهيئة أوجيرو وتنظيف أكشاك أجهزة الهاتف للعموم

تدعو هيئة أوجيرو الشركات المتخصصة الى تقديم عروض بالظرف المختوم وذلك لتلزيم أعمال التنظيفات والخدمات في مباني ومراكز وزارة الإتصالات وهيئة أوجيرو وتنظيف أكشاك أجهزة الهاتف للعموم .

يمكن الحصول على دفتر الشروط الخاصة بذلك من مركز أوجيرو الرئيسي في بئر حسن - مقابل المدينة الرياضية ، الطابق الأول - الغرفة ١١٨ اعتباراً من نهار الجمعه الواقع فيه ٢٠٢٠/٧/٣ وذلك خلال الدوام الرسمي، على أن يكون آخر موعد لقبول العروض الساعة الثانية عشرة من نهار الجمعه الواقع فيه ٢٠٢٠/٧/١٧.

تجري جلسة فض العروض الساعة العاشرة تماماً من نهار الأثنين الواقع فيه ٢٠٢٠/٧/٢٠.

ملاحظة: تقدم العروض لدى أمانة سر الهيئة في الطابق الثاني - الغرفة رقم ٢١٩.

على الحافة

لجنة مقالع الترابة: وزارة البيئة بلا رؤية

حبيب معلوف

من يطّلع على الرسائل التي وجّهها المدير العام لوزارة البيئة برج هتجيان إلى شركات الترابة، بعد اجتماع في مقر الوزارة في 2020/4/27 مع ممثلي الشركات وفي حضور وزراء الاقتصاد والتجارة والصناعة والبيئة، يعتقد لوهلة بأن الرسائل موجّهة من المدير العام لوزارة الصناعة لا البيئة!

في هذه الرسائل، دعا المدير العام الشركات الى الالتزام بالشروط البيئية بحسب ما تنص عليه القوانين والمراسيم التنظيمية والقرارات الوزارية. إلا أنه، في ختام رسائله، دعاهم إلى تقديم ملف كامل لتأهيل مواقع الاستثمار في المقالع التابعة لهم مع خطة تأهيل المواقع المشوّهة بيئياً والفترة الزمنية اللازمة للتأهيل بمعنى آخر، أمّن هتجيان لهذه الشركات المخرج «القانوني» لاستئناف العمل ضمن بدعة «المهل الإدارية» التي لا تصبح ملحة، كما في كل مرة، إلا تحت ضغط وقف العمل وصرف العمال والاعتصامات، علماً بأن الرسوم التنظيمي الرقم 2002/8803 وتعديلاته، يعتبر مواقع مقالع هذه الشركات خارج المخطط التوجيهي، ناهيك عن تأخر الوزارة المعنية في طلب تطبيق ما ورد في المادة 61 من قانون الموازنة العامة الرقم 2019/143، والتي حمّلت الشركات تكاليف المسح الميداني للمقالع والكسارات، تمهيداً للملاحقة المستثمرين المخالفين والمتخلّفين عن دفع الرسوم والغرامات.

وإلى ذلك، تأخرت وزارة البيئة كثيراً (عن عمد) في إعداد استراتيجية شاملة للتنمية المستدامة، واستراتيجية خاصة بكل ملف، وضمنها ملف المقالع والكسارات وشركات الاسمنت، كان يفترض أن تحدد من خلالها ـ بالتنسيق مع الوزارات المعنية ـ الحاجات الحقيقية لهذا القطاع، ودراسة الكلفة الاقتصادية والبيئية والصحية بالمقارنة مع إمكانيات فتح باب الاستيراد، أو لناحية اختيار الأماكن للاستثمار، وخطط إعادة التأهيل، وتحميل المشوهين والمخالفين التكاليف، وتغريم المتهربين من دفع الرسوم... وتنظيم كل ذلك بقوانين شاملة، بدل المراسيم المطعون ببعضها، والقرارات التي تجاوز الزمن بعضها، والتساهل ببعضها الآخر بيئياً. كما تجدر الإشارة الى أن بدعة «المهل الإدارية»، وذريعة «الاستثمار التأهيلي» التي يتم الإعداد لها في كواليس الوزارة مع المدير العام (الذي عاد وتسلم الملف مع الوزير الجديد ديمانوس قطار بعد طول استبعاد مع الوزراء السابقين)، ليست موجودة في المراسيم التنظيمية المرعية الإجراء، وليس هناك سوى قرارات وزارية تحدثت عن التأهيل (من دون استثمار) لمقالع قديمة متوقفة قبل عام 2000، علماً بأن مجلس شورى الدولة كان قد طعن بكل ما يسمى «مهلاً إدارية» باعتبارها غير قانونية وكأنها لم تكن.

يأتي السجال بين الشركات والبيئيين المعترضين، ولا سيما الائتلاف الشعبي ضد المقالع والكسارات ومصانع الاسمنت، في ظروف بالغة التعقيد لناحية تسويق فكرة فتح باب الاستيراد لهذا القطاع مع التراجع الدراماتيكي في قيمة العملة الوطنية. مع ذلك، فإن هذه الشركات، كما يؤكد مراقبون، لا تزال تمتلك مخزوناً كبيراً من الكلنكر، وقد ارتفعت الأسعار، ولم تُدرَس كل هذه الخيارات مسبقاً، ضمن قواعد استراتيجية، توفق بين تأمين هذه المواد الاستراتيجية وتؤمن الإطار القانوني والفني السليم الذي يحمي، والاقتصاد والبيئة وصحة الناس، وتكون الدولة فيه العنصر الاقوى، وليس كما يحصل الآن من هرج ومرج ومواربة واحتيال على القوانين وتنفيعات، وتصبح الخزينة هي آخر من يستفيد من عائدات هذا القطاع الضخمة، بينما تموّل أحزاباً ومتحكمين ومؤسسات متنوعة.

ما الذي يمكن فعله الآن مع هذه الأزمة التي تصيب كل شيء؟ وماذا فعل وزير البيئة بعد أكثر من مئة يوم على تسلّمه الحقيبة؟

في كل الأحوال، لم تكن انطلاقة الوزير موفقة. فهو أعاد تكليف المدير العام الذي لم ينجح سابقاً في وضع أطر استراتيجية وقانونية للملف، ولم يعرض شيئاً جديداً على اللجنة الفنية التي ألّفها رئيس الحكومة بعد استضافته الشركات التي هددت بالإقفال وصرف العمال. هذه اللجنة التي يشارك فيها ممثلون عن رئيس مجلس الوزراء ووزارتي الصناعة والبيئة واتحاد بلديات الكورة وعن هيئات المجتمع المدني والأكاديمي في الكورة، إضافة الى ممثلين عن الشركات في منطقة شكا.

لم تتصف هذه اللجنة بالشمولية كما كان يفترض، مع العلم بأن مقالع شركات أخرى (في سبلين) غير مرخصة قانوناً أيضاً، وكان يفترض أن يكون لوزارة البيئة تصور أشمل لإدارة هذا القطاع لم يظهر في أي من اجتماعاتها، تماماً كما يحصل في اللجنة الفنية للنفايات. ولا نعرف، بالتالي، الى أين ستؤدي اجتماعاتها غير التمديد وإعطاء مهل جديدة، كما كان يحصل سابقاً، وكأن دولة لم تقم وثورة لم تقع! والأرجح أن يترك وزير البيئة هذا الخيار لمجلس الوزراء، بعد أن يعرض الواقع الذي لا يخلو من التعقيدات والأزمات، مع الإشارة الى أن صلاحيات إعطاء الرخص بالمقالع والكسارات هي للمجلس الوطني للمقالع وليس لمجلس الوزراء.

لم يغد اللقب المحلّي يشبع رغبة الإدارة واللاعبين (أ ف ب)

نهائي ناري بين بايرن وليفركوزن

يستضيف الملعب الأولمبي في برلين مساء اليوم نهائي كأس ألمانيا بين بايرن ميونيخ وباير ليفركوزن. وبحسب التقارير الألمانية فإنّ لاعب وسط الفريق البافاري، خافي مارتينيز، لم يشارك في تدريبات الفريق طوال الأسبوع الماضي، بسبب معاناته من ألم في الساق. وأشارت صحيفة «بيلد» الواسعة الانتشار إلى أن مارتينيز لم يظهر أيضاً في مران الخميس، وتأكد غيابه بذلك عن المباراة النهائية لكأس ألمانيا. ومن جهة أخرى، أبرزت الصحيفة أن تياجو ألكانتارا خاض الخميس مرانه الثاني، عقب 3 أسابيع من إجرائه جراحة في الفخذ، لكن لم يتم تحديد موقفه بعد من الوجود أمام باير ليفركوزن.

بوندسليغا

بايرن ميونيخ على الطريق الصحيح
بافاريا حاضرة لـ«الحرب الأوروبيّة»

بحسب العديد من المصادر الإعلامية، استقدم نادي بايرن ميونيخ الألماني جناح مانشستر سيتي الشاب ليروا ساني، في صفقة لم تتجاوز قيمتها الـ50 مليون يورو. لاعبٌ سيضيف الكثير إلى النادي البافاري، الذي يسعى بشتّى الطرق للتتويج بدوري أبطال أوروبا بعد غيابه 7 أعوام عن المنصة

حسين فحص

بعد سيطرة بايرن ميونيخ على الألقاب المحلية في السنوات الأخيرة، حوّلت الإدارة أهدافها إلى دوري أبطال أوروبا، ففتحت خزائن النادي وكسرت الدور ربع النهائي من دوري أبطال أوروبا، بعد أن فاز على تشلسي في لندن بثلاثة أهداف نظيفة. رغم ذلك، لا يعدّ بايرن ميونخ مرشّحاً فوق العادة في دوري الأبطال هذا الموسم نظراً إلى بعض المشاكل في المنظومة، غير أن الصفقات التي تبرمها الإدارة أخيراً تضع الفريق على الطريق الصحيح، أقله نظرياً.

استيقظت إدارة البايرن بعد سبات طويل، وفتحت خزائنها بعد الفشل الأوروبي المتكرّر في السنوات الأخيرة. تعلّمت الإدارة من دروسها، وهي في صدد بناء منظومة متكاملة تجمع بين المهارة والخبرة والفاعلية.

عانى النادي البافاري الأمرّين مع كوفاتش خلال فترة وجوده في الأليانز أرينا، خاصة في موسمه الأول، إذ ظهر جلياً عدم التفاهم بين المدرب الكرواتي والأسماء الموجودة داخل الفريق. لم يُبرم النادي في تلك الفترة أيّ صفقة تتلاءم مع أسلوب مدرّبه أو ترقى إلى أهداف الإدارة نفسها، بل اكتفت بلاعبيها السابقين. كان لعمل أعمار اللاعبين العالي في النادي الأثر الأكبر في تخبّط بايرن ميونيخ. أسماءٌ مثل أريين روبن، فرانك ريبيري، توماس مولر دخلت في سنّ الثلاثين، ما انعكس سلباً على منظومة كوفاتش إثر تراجع مستواهم. رغم ذلك، تُوّج البايرن بلقب الدوري في الجولة الأخيرة من الموسم الماضي، لكنه فشل أوروبياً، في ظلّ اعتماده على سياسات يقتصر نجاحها على الصعيد المحلي.

في الأعوام الماضية، اعتمد بايرن ميونيخ على سياسة شراء نجوم الدوري الألماني، بهدف إضعاف الخصوم. أندية منافسة كبروسيا دورتموند وشالكه شكّلت السوق الأبرز للمارد الأحمر، بعد أن سمحت بانتقال أبرز لاعبيها إلى بافاريا. تغيّر الأسلوب الآن، وأصبحت الإدارة تعتمد على فلسفة قوامها خلق التوازن بين الجيلين السابق والشاب، مع استقدام مواهب من خارج البوندسليغا. بدأ الأمر عندما كسر النادي البافاري الرقم القياسي لصفقات الدوري الألماني، بعد أن استقدم مدافع أتلتيكو مدريد الفرنسي لوكاس هيرنانديز مقابل 80 مليون يورو، ثم إنه وقّع مع فيليبي كوتينيو وإيفان بيريسيتش، مع التخلّي عن «أسطورتي» النادي أريين روبن وفرانك ريبيري، ظهر نقص الفريق للاعب يشغل مركزَي الجناح، فحاولت الإدارة ضمّ جوهرة تشلسي الشابة هودسون أودوي من دون جدوى. هكذا، اتّجهت الإدارة إلى الصفقة الأسهل نظرياً، وهي صفقة جناح مانشستر سيتي الألماني ليروا ساني والتي كانت ستكلّف النادي حوالى 120 مليون يورو، غير أنّ هذه الصفقة تعثّرت إثر إصابة اللاعب.

بعد عودته من الإصابة، أتمّ بايرن ميونيخ تعاقده مع نجم مانشستر سيتي، ليروا ساني، في صفقة قد تكون الأبرز هذا الصيف. ووفقاً لمصادر عديدة في ألمانيا، وقّع الدولي الألماني مع بايرن ميونيخ في صفقة لم تتجاوز الـ50 مليون يورو، وفي عقد مدته 5 أعوام. ما هو مؤكّد، أن الإصابة لعبت دوراً في تخفيض القيمة من دون إغفال تداعيات فيروس كورونا على سوق الانتقالات، ومن المتوقّع أن يحمل ساني الرقم 10 في النادي البافاري، وهو الرقم الذي كان يرتديه الهولندي أريين روبن.

هكذا، بات بايرن ميونيخ يمتلك منظومة شبه مكتملة، تحتوي على مزيج من الخبرة والمواهب الشابة. استطاع بايرن تعويض ريبيري وروبن بالشكل المناسب، بعد حصوله على خدمات الجناحين الألمانيين سيرج غنابري وليروا ساني، ثم إنه يمتلك أحد أفضل رؤوس الحربة في العالم، المتمثّل بالبولندي روبرت ليفاندوفسكي. خط وسط متين يمتلكه النادي البافاري، زاد قوةً بعد عودة الوافد من شالكه غوريتسكا إلى مستواه. تحسّن الفريق من الناحية الدفاعية أيضاً إثر قدوم هيرنانديز وبافار، إضافةً إلى «انفجار» الموهبة الشابة الفونسو دايفيز. مع وجود الحارس العملاق مانويل نوير، والفاعلية الكبيرة التي أظهرها المدرب الجديد فليك مقارنةً بالمدرب السابق كوفاتش، يبدو بايرن ميونيخ على الطريق الصحيح.

سيطرة بايرن ميونيخ التامة على الألقاب المحلية، جعلت الدوري تحصيل حاصل للنادي الأكبر في ألمانيا. الدوري لم يعد مقنعاً بعد الآن لنجاح موسم النادي البافاري، حيث بات دوري أبطال أوروبا هدف الإدارة الأبرز بعد استعصائه على خزائن النادي منذ عام 2013.

> **فتحت إدارة بايرن ميونيخ خزائنها بعد الفشل الاوروبي في السنوات الأخيرة**

أبرز مباريات الأسبوع

■ السبت 2020/7/4

الدوري الإنكليزي
- ليستر سيتي x كريستال بالاس 17:00
- مانشستر يونايتد x بورنموث 17:00
- وولفرهامبتون x آرسنال 19:30
- تشلسي x واتفورد 22:00

الدوري الإسباني
- سيلتا فيغو x ريال بيتيس 18:00
- غرناطة x فالنسيا 23:00

الدوري الإيطالي
- يوفنتوس x تورينو 18:15
- ساسولو x ليتشي 20:30
- لاتسيو x ميلان 22:45

نهائي كأس ألمانيا
- باير ليفركوزن x بايرن ميونيخ 21:00

■ الأحد 2020/7/5

الدوري الإنكليزي
- نيوكاسل x وستهام يونايتد 16:00
- ليفربول x أستون فيلا 18:30
- ساوثهامبتون X مانشستر سيتي 21:00

الدوري الإسباني
- أتلتيك بيلباو x ريال مدريد 15:00
- فياريال x برشلونة 23:00

الدوري الإيطالي
- إنتر ميلانو x بولونيا 18:15
- كالياري x أتالانتا 20:30
- نابولي x روما 22:45

بريميرليغ

منافسة شرسة على المقاعد الأوروبية في إنكلترا

تسعى أندية الطليعة إلى حصد المزيد من النقاط في صراعها الناري للتأهل الى دوري ابطال أوروبا والدوري الاوروبي. في المرحلة الـ33 من الدوري الانكليزي لكرة القدم. وذلك بعد حسم ليفربول معركة اللقب للمرة الاولى في ثلاثة عقود

بعد حسم «الحمر» البطاقة الاولى للمسابقة القارية، اقترب مانشستر سيتي الثاني من حسمها فنياً وليس إدارياً، إذ يتعين عليه نقض قرار الاتحاد القاري للعبة بإبعاده عن المسابقات الاوروبية موسمين بسبب مخالفته قواعد اللعب المالي النظيف. وفي حال إقصاء سيتي (66 نقطة)، سيبلغ المسابقة القارية الاولى أصحاب المراكز: الثالث والرابع والخامس، ما يعني أن المنافسة ستكون في غاية الشراسة بين أندية ليستر سيتي (55 نقطة)، وتشلسي (54)، ومانشستر يونايتد (52) وولفرهامبتون (52) نجم العودة بعد توقف الدوري نحو ثلاثة أشهر بسبب تفشي فيروس كورونا المستجد.

وخيّم على ختام المرحلة السابقة الخميس، الفوز الساحق لمانشستر سيتي على ضيفه ليفربول 4-0، وذلك بعد أن أصطف لاعبو المدرب الاسباني بيب غواردیولا في ممر شرفي، تكريماً للاعبي البطل الذين حسموا اللقب قبل سبع مراحل على ختام الدوري.

وقال المصري محمد صلاح، نجم ليفربول وصاحب المركز الثالث في ترتيب الهدافين، إن فريقه كان منقسماً من جهته، قال غواردیولا «لقد فزنا على الأبطال، فريق استثنائي»، معلقاً على الحديث عن أن ليفربول كان لا يزال في ذهنية الاحتفال بالفوز، بالقول «لقد شربوا كميات كبيرة من الجعة هذا الأسبوع، لكنهم وصلوا الى هنا ودمهم نظيف من الجعة، لذا أعطي فريقي الكثير من التقدير».

ويستقبل ليفربول الذي خسر لقبه في دوري أبطال أوروبا، بخروجه في ثمن النهائي أمام اتلتيكو مدريد الاسباني، استون فيلا الثامن عشر اليوم السبت.

أما سيتي الذي تنتظره مواجهة طاحنة في اياب ثمن نهائي دوري الابطال امام ريال مدريد الاسباني، بعدما هزمه في عقر داره ذهابا 2-1، فيحل غداً على ساوثمبتون الرابع عشر.

وبرغم تنازله عن لقب الدوري المحلي لليفربول، رأى غواردیولا أن «أشياء رائعة» تنتظر فريقه في نهاية الموسم الجاري، حيث تنتظره ايضاً مباراة قوية في نصف نهائي الكاس ضد ارسنال «خضت تحديات كثيرة، كثيرة في مسيرتي كمدرب... هذا تحدّ إضافي (دوري الأبطال). الجميع يتحدث عن فشلي الكبير، لأني لم أفز بدوري الابطال في ميونيخ أو هنا».

وتشهد المرحلة مباراة قوية بين ولفرهامبتون السادس وأرسنال الثامن. ويحقق ولفرهامبتون عودة رائعة من كورونا، بحيث فاز ثلاث مرات متتالية وخمس مرات في مبارياته الست الاخيرة، كما اهتزت شباكه في مباراة واحدة من أصل آخر ثماني في الدوري.

أما أرسنال الحالم بالاقتراب من خماسي المقدمة (46 نقطة)، فبعد خسارتين امام سيتي وبرايتون، استعاد توازنه بفوزين على ساوثمبتون ونوريتش في ظل تألق مهاجمه الغابوني بيار اميريك اوباميانغ، متصدر ترتيب الهدافين (19) بالتساوي مع جاميي فاردي هداف ليستر سيتي.

وفي ظل الأنباء عن رحيل محتمل لاوباميانغ (31 عاماً) الذي ينتهي عقده في حزيران/يونيو 2021، قال مدربه الاسباني ميكل ارتيتا «لا يمكننا كفريق أن نبيع أفضل لاعب لدينا، ثم نحاول جلب آخرين ونحسّن فريقنا. مجدداً لا نعرف كيف ستكون السوق... أشعر بأن أوبا سيكمل معنا ويستمر في تطوير نفسه، ويساعدنا كريستال بالاس الثاني عشر، فيما يحاول تشلسي نسيان خسارته الموجعة في اللحظات الاخيرة امام وست هام (2-3)، عندما يستقبل واتفورد السابع عشر، والذي لم يفز في آخر أربع مباريات.

وتتركز الأنظار على مانشستر يونايتد الذي يعيش عودة رائعة على غرار ولفرهامبتون. ويستقبل رجال المدرب النروجي اولي غونار سولسكاير، الذين لم يخسروا في آخر ثماني مباريات، بورنموث، وصيف القاع اليوم.

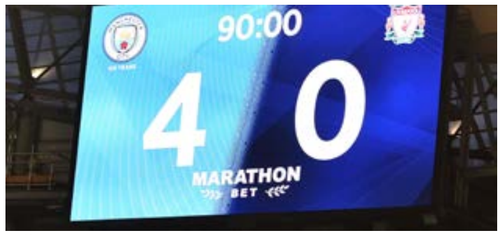

افسد «سيتي» جزئيا احتفالات فريق المدرب الالماني يورغن كلوب (أ ف ب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3489

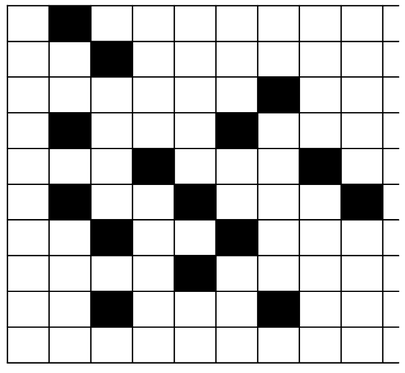

أفقيا

1- إعلامي لبناني – 2- خط دفاع أقامته ألمانيا على حدودها الغربية قبل الحرب العالمية الثانية – نوتة موسيقية – 3- تحسر وحزن على ما فات – سكاكين كبيرة – 4- قطار تحت الأرض – خوف شديد – 5- مقياس مساحة – من المعلبات – ثقّال على الهاتف – 6- منخفض من الأرض من جرّاء المياه – إله مصري – 7- بمعنى أعيش – سهل ونهر إيطالي – شبكة بالأجنبية – 8- أدوات من خشب أو بلاستيك يستعين بها التلامذة على وضع خطوط مستقيمة – مدينة ليبية – 9- ماركة غالات أبواب – لين خائر – أصغر نهر في العالم – 10- أخت صلاح الدين الأيوبي أنشأت المدرسة الخاتونية في صالحية دمشق ولا تزال الى اليوم عامرة

عمودياً

1- فنان وملحن لبناني – 2- عائلة جرّاح إنكليزي أول من إستعمل التضميد المعقّم في الجراحة – جردة يقوم بها التاجر من فترة لأخرى – 3- يُسامح – طيفي وظليّ – 4- آلة موسيقية – طائر ليلي – 5- زفاف – ورك – لطف ونغومة – 6- الإسم الأول لاعب كرة مضرب عالمي سابق – طائر وهمي كبير – 7- تشييع المسافر – دولة عظمى – 8- سجيّة جُبل عليها الإنسان – 9- حرف جر – أحد زعماء حركة الإستقلال في الهند وأول رئيس وزراء فيها وأحد مؤسسي حركة عدم الإنحياز العالمية عام 1961 – 10- مدينة كندية عاصمة جزيرة برانس أدوارد

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- نابلس – كندا – 2- أباد – حاسوب – 3- وهب – ميكادو – 4- لا – فاديم – 5- هتلر – رجب – 6- بوش – 111 – ني – 7- أر – ابن رشد – 8- ربو – بر – 9- ود – سيكام – 10- نانسي السبع

عمودياً

1- ناو ليبانون – 2- ابها – ور – دا – 3- باب – هش – 4- لد – فتّ – أبوس – 5- مالابو – 6- حيدران – سا – 7- كاكي – أربيل – 8- نسامر – شركس – 9- دود – جند – اب – 10- ابو ظبي – شمع

sudoku 3489

		2	4	9	5		8	
4		8		2			1	
		3					6	
7			8		2			3
1				4				8
2			3		9			5
	9			7		2		
	2			6		7		4
	4		2	3	1	8		

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3488

8	7	2	1	9	3	6	5	4
9	5	1	6	7	4	2	3	8
3	4	6	2	8	5	9	7	1
4	6	5	8	2	7	1	9	3
2	9	7	3	4	1	8	6	5
1	3	8	9	5	6	7	4	2
5	1	9	7	3	2	4	8	6
6	8	4	5	1	9	3	2	7
7	2	3	4	6	8	5	1	9

مشاهير 3489

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مارشال سوفياتي (1897- 1973) إشتهر في دفاعه عن موسكو خلال الحرب العالمية الثانية بوجه الزحف النازي. عُيّن قائداً عاماً لحلف وارسو

3+2+9+1+5 = عاصمة النمسا ■ 6+8+4+7 = مدينة نيجيرية ■ 10+2+11 = حواء بالأجنبية

حل الشبكة الماضية: **جعفر النميري**

إعداد **نعوم مسعود**

غزوة السفيرة الأميركيّة في لبنان: تضييق الخناق

إذا كانت هذه الحرية، فماذا يكون السجن؟ (ملصق سوفياتي من الثمانينيات، تصميم)

أسعد أبو خليل *

للحكومة الأميركية تاريخ طويل من التدخّلات التفصيلية في شؤون لبنان. لكن سيُقال إنّ لدول أخرى تدخلات في شؤون لبنان، وهذا صحيح. كان السفير المصري في لبنان في عهد عبد الناصر، يتمتّع بنفوذ كبير غير أنّ الحكومة المصرية لم تكن تشتري نفوذها بالمال والتهديد، كما تفعل أميركا اليوم: كانت الجماهير تتبع، عفويّاً، السياسات الناصريّة، وكان المرشحون للانتخابات النيابيّة وحتى البلدية (وفي مناطق مختلفة من لبنان)، ينفقون المال على ملصقات ولافتات تحمل صور واسم عبد الناصر. وكان نوّاب بيروت يتسابقون لزيارة القاهرة قبيل الانتخابات النيابيّة، كي ينشروا صوراً طازجة لهم مع عبد الناصر (كانت السفارة المصريّة تقدّم معونات من الورق لبعض الصحف الموالية للسياسة المصريّة، لكن هذا نذر يسير ممّا كانت سفارات دول الغرب والخليج العربي وإيران الشاهنشاهية تنفقه في الدعاية آنذاك). أما النظام السوري، فقد حصل على نفوذ هائل له في لبنان من خلال فرض سيطرته العسكريّة والمخابراتيّة بعد عام 1976، وتدخّل جيشه. الفارق بين النفوذ الأميركي ونفوذ دول أخرى، أنّ النفوذ الأميركي كان ثابتاً منذ الحرب العالميّة الثانيّة. لم يصعد أو يهبط مثل نفوذ دول أخرى. النفوذ الأميركي في لبنان بقي ثابتاً، وتعايش حتى مع سنوات سيطرة منظّمة التحرير الفلسطينيّة والحركة الوطنيّة التي كان له فيها حلفاء (في صيف عام 1982، توصّل مروان حمادة إلى اتفاق مع السفارة الأميركيّة في بيروت لإرسال سيّارة رسميّة لنقل زعيم التقدّميّة الاشتراكيّة من قصره في المختاره إلى بيروت). وكان ياسر عرفات يسخّر قوّات منظّمة التحرير لحماية المصالح الأميركيّة ولمنع التعرّض لها، أملاً منه بمبادرة أميركيّة سياسيّة نحو منظّمة التحرير.

تعايش النفوذ الأميركي مع مرحلة سيطرة النظام السوري، لأنّ «اتّفاق الطائف» تمّ برعاية سعوديّة ـ أميركيّة ـ سوريّة، وكان النظام السوري على علاقة حسنة مع الإدارة الأميركيّة عندما شاركت قواته في الحرب الأميركيّة على العراق، لإسباغ شرعيّة إسلاميّة وعربيّة مزيّفة على الحرب الأميركيّة. كذلك، كان اختيار شخص الرئيس اللبناني مدار بحث دائم بين النظام السوري والحكومة الأميركيّة. لكنّ النفوذ الأميركي لم يخفت في لبنان، خصوصاً أنّ قطاعات كبيرة في الدولة والمجتمع بقيت على ولائها للمصالح الأميركيّة: الجيش على زمن لحّود لم يمنع الدورات للضبّاط في الولايات المتحدة، بالرغم من فرضه عقيدة وطنيّة مقاومة للجيش (لم تتدفّق المساعدات العسكريّة للجيش إلّا بعد عهد لحّود، لأنّ الذي خلفه في قيادة الجيش تملّص من العقيدة الوطنيّة المقاومة). ونما النفوذ الأميركي في الجيش بعد رحيل لحّود، وبصورة مطردة، إلى درجة أنّ الجيش اللبناني، اليوم، بقيادة جوزيف عون لا يشبه إلا الجيش الانعزالي في زمن ما قبل الحرب الأهليّة: بالكاد يذكر جوزيف عون في عيد التحرير الأبطال (من خارج الجيش) الذين دافعوا عن لبنان. وأجهزة الأمن في لبنان متعدّدة، وكلّها بدرجات متفاوتة، حافظت على أفضل العلاقات مع الإدارات الأميركيّة (التي كانت تمنح سيّارات «متطوّرة» لقادة الأجهزة) بالرغم من سيطرة النظام السوري (مَن قال إنّ اللبناني لا يستطيع أن يطيع أكثر من دولة واحدة في آن؟). وكان النظام المالي والاقتصادي، بحكم وقوعه في يد رفيق الحريري، متحالفاً مع وزارة الخزانة الأميركيّة، التي تنفّذ مشيئة اللوبي الصهيوني في الإشراف على مالية دول الشرق الأوسط. اختيار حكّام المصارف المركزيّة في العالم العربي قرارٌ أميركي، طبعاً، بعد رحيل النظام السوري، سارعت الحكومة الأميركيّة إلى بسط نفوذها على كلّ المفاصل التي كانت خاضعة للنفوذ السوري. ويقولون إنّ إيران نافذة في لبنان: على أي قطاع في الدولة تسيطر إيران، وعلى أي قطاع في الدولة سيطرت إيران منذ عام 1982؟ ليس لإيران نفوذ خارج نطاق حزب الله ومؤسّساته.

وفي المجتمع، بحكم التمويل العلني (من خلال وكالة التنمية الأميركيّة ومؤسّسات لا حصرَ أو عدّ لها بأسماء تتغنّى بالديموقراطيّة وحب الطبيعة) والسرّي الذي لا نعلم بأمره، فإنّ المصالح الأميركيّة تسود، كما تسود في الإعلام الذي يعاني من شحّ في التمويل (سنعود إلى ذلك أدناه). والسريّة المصرفيّة ستبقى في لبنان، لأنّها جاءت بمشيئة الاستخبارات الغربيّة، وستبقى فيه بمشيئة الاستخبارات الأميركيّة. لن تسمح أميركا برفع السريّة المصرفيّة. والطريف أنّ المصارف اللبنانيّة ترفع السريّة المصرفيّة عن كلّ الحسابات بناء على طلبات وزارة الخزانة الأميركيّة. أي أنّ السريّة المصرفيّة لا تسري على الراعي الأميركي والإسرائيلي.

لم يأتِ على لبنان سفيرٌ أميركي يكرّر نشاط جيفري فيلتمان. يصحّ القول إنّه كان خير وريث لغازي كنعان. ليس أنّ السفراء الذين سبقوه افتقروا إلى النفوذ، لكنّ هذا كان مبادراً وسياسيّاً محنّكاً. تقرأ في «ويكليكس» كيف كان قادة آل فرسان، 14 آذار، يتناقشون مع فيلتمان ويطلبون توجيهات في أصغر التفاصيل (تماماً كما كان بعض هؤلاء يلعبون هذا الدور مع غازي كنعان ورستم غزالة). فيلتمان كان العرّاب والمؤسّس الحقيقي لـ14 آذار. فيلتمان هو خليفة رفيق الحريري في التآمر بعد رحيل الأخير، خصوصاً أنّ خليفة الحريري في العائلة ترك الكرسي فارغاً بسبب غياب الموهبة والكفاءة والذكاء والقدرة والشخصيّة. وكان بعض قادة 14 آذار يستمرّون في التواصل وتلقّي النصح من فيلتمان، حتى بعد شغله منصباً مهمّاً في الأمم المتحدة (وكان جنبلاط يطير رفيعاً في الأمم المتحدة (وكان جنبلاط يطير للقائه، طبعاً، للبحث في المواضيع التي تهمّ جنبلاط وتلهمه مثل قضيّة فلسطين... وعقيدة بوش).

خلفاء فيلتمان لم يخفوا تدخّلهم في الشأن اللبناني، وكانوا مثله منفّذين لمشيئة اللوبي الصهيوني. لكنّ أحداً منهم لم يبرز في الدور. نورا كونللي زارت زحلة كي تلتقي مع نقولا فتّوش للتدخّل ـ الصفيق ـ في شأن الانتخابات البلديّة والنيابيّة. هذه من سمات التدخّلات الأميركيّة: إنها أكثر صفاقة واتساعاً وعمقاً من أيّ دور لسفراء آخرين، باستثناء السفير السعودي بعد موت رفيق الحريري. لكنّ السفارة الأميركيّة أكثر نفوذاً من النظام السوري في عزّ سطوته: النظام السوري كان يسيطر على الطبقة السياسيّة، وكان الحريري وبرّي يستعينان بالذراع الغليظة للنظام لتطويع وتدجين الاتحادات العمّاليّة التي شكّلت في التسعينيّات الفرصة الوطنيّة الوحيدة الجامعة لمناهضة الحريريّة. أمّا الدور الأميركي، فمتغلغل في كل قطاعات الدولة والمجتمع، ممّا يعطيه عمقاً لم يتمتّع به النظام السوري من قبل. والحكم الأميركي يتمتّع بالقدرة الماليّة (له ولطغاة الخليج) وهو يستخدم القدرة الماليّة للمعاقبة والمكافأة معاً.

لكنّ السفيرة الأميركيّة الجديدة أتت بمهمّة عاجلة وملحّة: الإطباق على لبنان وشنّ حملة عنائيّة خبيثة لم يسبق أن شهدها لبنان من قبل. كانت حملة فيلتمان في عام 2005، وما تلاها خلال سنوات عقيدة بوش، أمهر من حيث تزييف الأغراض والمقاصد والمخالب. السفيرة الجديدة تعمل في ظل إدارة دونالد ترامب، حيث الترويّ والدبلوماسيّة الناعمة تُعتبر من المعوّقات ومن معالم الضعف المستنكَر. وإسرائيل منذ عام 2006 في معضلة لم تحلّها لها أيّ إدارة أميركيّة: أطلقت يد إسرائيل لثلاثة وثلاثين يوماً كاملة لتدمير لبنان كلّه، من أجل تدمير حزب الله و«طرده من لبنان» (كان نادر الحريري في حرب تموز يبشّر بطرد الشيعة من الجنوب، بحسب شاهد على مكالمة هاتفيّة له). لكنّ إسرائيل فشلت، حتى في الهدف الأدنى: ألا وهو تدمير القدرة الصاروخيّة للحزب. وخرجت من الحرب مهزومة ذليلة، كما لم تُذلّ في تاريخها غير الطويل (وإن كان طويلاً عندما يقاس بمعاناة ضحاياها). منذ حرب تموز، وإسرائيل وراعيتها تبحثان عن وسائل وطرق لمحاربة حزب الله والقضاء عليه. مؤامرات لا عدّ لها ولا حصر. من تأهيل ميليشيات حريريّة ممولة من النظام السعودي (بإيعاز أميركي) لجرّ حزب الله إلى حرب أهليّة (لكن الحزب استطاع في غضون ساعات، أن يقضي على تلك الميليشيا التي كان سعود الفيصل يقول عنها بحسرة: كنّا نغذّر لهم الوجبات الساخنة ولم يصمدوا لساعات).

فشل رهان 7 أيّار، وتبعته رهانات أخرى. عقوبات من كلّ نوع وتصنيفات عن الإرهاب، تصدر في واشنطن ثم يصل صداها إلى الجامعة العربيّة، بعدما تتلقّفه الدول الأوروبيّة. غزوات ضد غزة تفشل هي الأخرى، بعد تشكيل فرق مقاومة تعلّمتْ من (وتدرّبت على يد) المقاومة اللبنانيّة. مهمّة السفيرة الأميركيّة الحالية واضحة: الإشراف على الانهيار الكبير وإنقاذ حلفاء أميركا من الغضبة الشعبيّة، وتحويل النقمة ضد حزب الله فقط. وهي تعمل لتنسيق المؤامرة على مستوى الحَبْشة في لبنان وسوريا معاً، والانهيار المالي اللبناني أثر على الوضع المالي والاقتصادي في سوريا، وهذا كان أيضاً مخطّطاً له. ويعاون السفيرة في مهمّتها هذه قطاعٌ كبير من الدولة والمجتمع والإعلام. يكفي أن ترى تغيّر وجهة الإعلام: محطة «الجديد» التي كانت تروّج يومياً لـ«مؤسسة الوليد بن طلال» باتت تروّج لنشاطات «مؤسّسة رينيه معوّض» التي رعى حفلاتها في واشنطن «الحافظين الجدد»، بمن فيهم بول وولفويتز نفسه وأقطاب اللوبي الصهيوني. وميشال معوّض، الذي لم يصل إلى النيابة إلا متسلّقاً على قائمة «التيّار» (الذي كان يهجوه يومياً)، بات بارزاً في السياسة بعدما خصّه مايك بومبيو بزيارة. وزيارة بومبيو كانت موعد إعلان رسمي للحرب على لبنان.

إنّ التدليل على المؤامرة الأميركيّة ضد لبنان، لا يعني البتّة التقليل من حجم المسؤوليّة الكارثيّة للطبقة السياسيّة الحاكمة: وهذه الطبقة تخرق الطوائف والمعسكرات السياسيّة. إنّ الدور البارز لنبيه برّي وإبراهيم كنعان (أي التيّار الوطني الحرّ)، في التمسّك بمصالح المصارف ورياض سلامة في هذه الحكومة، يعكس التماسك في صفّ الطبقة الحاكمة. في عام 1975، حدث شرخ في صف الطبقة الحاكمة على خط طائفي (وإن انشقّت قيادات في بيروت الغربيّة والتحقت بالمشروع الانعزالي في بيروت الشرقيّة)، لكنّ الطبقة الحاكمة اليوم متراصّة لأن المغانم (في الدولة وخارجها) لم تعد محصورة بطائفة واحدة كما كانت. وطبقة الأثرياء هي الأكثر عرضةً للتأثّر بالضغوطات الأميركيّة من غيرها، لأنّ أميركا تستطيع بقرار واحد تجميد حسابات وتديد ثروات بين ليلة وأخرى. هل هناك شكّ اليوم (لبعض 8 آذار تعاون مع 14 آذار لتهريب المجرم الفاخوري، وأنّ (كلّ) 8 آذار غطّى وتستّر في حكومة حسان دياب على ذلك؟ بدأت نغمة التهديد الأميركي بعقوبات تطال حركة «أمل» و«التيّار»، تصدح منذ العام الماضي، ومن خلال إعلام أبواق اللوبي والنظام السعودي في لبنان. وقد نجحت التهديدات: جبران باسيل الذي كان مُقاطَعاً من قبل الإدارة الأميركيّة، استقبل الرجل الثاني في وزارة الخارجيّة الأميركيّة، وكان موضوع المقابلة واحداً: المجرم الفاخوري. وقائد الجيش اليوم هو على يمين 14 آذار. قبل عام، أو أقل، اصطحب سفير بريطانيا وسفيرة أميركا قائد الجيش وأمراء بنشر مراكز مراقبة على طول الحدود الشرقيّة مع سوريا (بحجّة رصد أكياس البطاطا المهرّبة) وذلك لمحاصرة المقاومة. أي أنّ قائد الجيش الذي يتنضل من حماية لبنان من عدوان إسرائيل (والذي يكتفي ببيانات دوريّة، بالتأكيد أنه بحث موضوع الخروقات مع قوات الـ«يونيفيل») يريد أن ينفّذ المشيئة الأميركيّة ـ الإسرائيليّة بمحاصرة المقاومة، من خلال هذا الرصد الدقيق فقط للحدود الشرقيّة مع سوريا. ماذا عن الحدود الجنوبيّة؟ هل يجرؤ على إنشاء مركز مراقبة واحد هناك؟ هل تسمح له أميركا بإنفاق قرش من مساعدات الفتنة والصهيونيّة (التي تمنحها للجيش لا لتقويته، وإنما لضمان ضعفه ومنع تسليحه الجد من أي طرف آخر) لإنشاء مركز مراقبة ضد جيش الاحتلال؟

لنتّفق: إنّ الطبقة الحاكمة (التي يرعى نبيه برّي مصالحها اليوم بالنيابة عن 8 و14 آذار) هي المسؤولة عن الفساد والسرقة وعن الانهيار المالي الحالي. الطبقة الحاكمة هي نتاج الحريريّة. وخلافاً 8 و14 آذار لا يعنيها البتّة. وفي الملمّات، ينضمّ معظم قوى 8 إلى 14 آذار، كما يظهر اليوم في هذا التآزر بين برّي وفرنجيّة والحريري وعون وجنبلاط وجعجع. ولنتّفق أنّ الانهيار كان يمكن أن يقع قبل اليوم، إذ إنّ أزمات ماليّة واقتصاديّة (وهي من صلب النظام الرأسمالي) كانت سمة دائمة لهذا النظام، وكانت دول الغرب والخليج تأتي في المقام الأول (من باريس 1 و باريس 2 أو غيرهما) كي تنقذ النظام وتمدّه بالمعونة اللازمة، حتى الأزمة اللاحقة (مثلما أمدّت ألمانيا، قبل أيّام، السودان بمليار ونصف من المساعدات بعد اللقاء بين نتنياهو وحاكم السودان). لكنّ أمراً ما تغيّر في عام 2018، عندما شنّ محمد بن سلمان (بالاتفاق مع العدوّ الإسرائيلي وبرضى أميركي) «عاصفة حزم» على لبنان، واختطف سعد الحريري وأمر بربطه بكرسي وضربه وصفعه وركله وإهانته، قبل أن يُجبر على قراءة بيان استقالة فتنوي. كلّ الصحافة الغربيّة ربطت بدء هجرة المال من لبنان بتلك المرحلة (عادت دول الغرب واعترضت على طريقة محمد بن سلمان في التعامل مع الحريري مع موافقته على أسبابه الموجبة. ولو أنّ جمهور الحريري وافق على متابعة بهاء الحريري، لكانت الإدارة الأميركيّة تماشت مع الاختيار الجديد.) الجديد أنّ الحكومة الأميركيّة بدأت (مع دول الخليج) بتشديد الضغط المالي والاقتصادي على لبنان وسوريا. هي ترعى الطبقة الفاسدة في لبنان وتحميها من المحاسبة (كان سينكر وفيلتمان صريحَيْن في الأشهر الأخيرة، بإصرار الحكومة الأميركيّة على حماية فاسديها في لبنان ومنع محاسبتهم).

ليس انهيار لبنان صدفةً في الوقت ذاته الذي تعاني فيه شعوب فنزويلا واليمن وسوريا وإيران من الحصار الأميركي. هذه سياسة مرسومة، ولا يغفل عن رؤيتها إلا الذي وقع ضحيّة سنوات من التضليل الأميركي في الصحافة العربيّة، والذي سخّف نظريّة المؤامرة وجعل الإيمان بها صرفاً من صروف الغباء أو السذاجة. ليس هناك مؤامرة أوضح من المؤامرة الجارية، وحماسة السفيرة الأميركيّة الجديدة جعلتها أكثر وضوحاً. وواضح أنّ هناك إنفاقاً أميركياً دعائياً سخياً في وسائل الإعلام اللبنانية، وهناك اعتماد (أميركي وأوروبي) على مواقع إنترنتيّة، وعلى مواقع التواصل (وبعضها، يا للطرافة، ينطق باسم الثاو ثاو ثورة، وموقع «ميغافون» أفرد تقريراً طويلاً للترويج المفضوح لعقوبات «قيصر»)، لضخّ البروباغندا الأميركيّة. وتستفيد هذه البروباغندا من غياب سياسة إعلاميّة واضحة للحزب. وبدوره، لا عقداً قد رسا على محطة «إل بي سي»، إذ باتت البوق شبه الرسمي المتحدث باسم المؤامرة الأميركيّة. ويظهر مسؤولٌ أميركيّ، مثل ديفيد شينكر، مع الكتائبي (لم ننسَ) البرت كوستانيان، ويلقى من المساءلة ما كان فرانك سيناترا يلقاه من لاري كنغ الشديد الإعجاب به، والذي كانت أسئلته لسناترا من نوع: فرانك، لماذا نحبّك؟ وكوستانيان يكاد في أسئلته أن يسأل شينكر (المُنتدَب في وزارة الخارجيّة من اللوبي الصهيوني وذراعه الفكريّة): ديفيد، لماذا نحن نحبّ البروباغندا الأميركيّة؟

الهجمة الأميركية استعرت بعد خطاب نصر الله الأخير، إذ أنّ السفارة الأميركيّة قرّرت أنّه كان محكماً في وصفه لطبيعة الأزمة، وفي عرض خيار التعامل الاقتصادي مع الشرق (والشرق ليس فقط إيران وسوريا والعراق). خرجت السفيرة الأميركيّة عن طورها، إذ هي وحكومتها قرّرتا أنّ خطاب نصر الله يمكن أن يُقنع المزيد من اللبنانيّين بصوابية الخيار الشرقي، وبخيبث الغزوة الأميركيّة، فكان هذا الهجوم الدعائي المحموم والذي تعاملت معه حكومة حسان دياب بالخنوع والذلّ والانصياع الذي تعاملت فيه مع كلّ الإهانات الأميركيّة التي رمتها السفارة الأميركيّة بوجه لبنان: من بيان السفارة الأميركيّة وتدخّلها الصفيق في القضاء اللبناني، بعد حادثة قبر شمون (كان ذلك في زمن الحكومة السابقة) إلى تهريب المجرم الفاخوري وبمشاركة (شبه) أكيدة من فريق في السلطة (خصوصاً من قيادة الجيش والراعي للسفير اللبناني في واشنطن والراعي لرئيس المحكمة العسكريّة، إلى كلّ عضو في الحكومة صمتَ ولم يعترض)، ثم الغزوة الأخيرة للسفيرة الأميركية التي خرقت فيها محرّمات بروتوكوليّة. لو أنّ السفير اللبناني في واشنطن ظهر على شاشة أميركيّة، ووصف الحزب الجمهوري بالإرهابي، وحمّله المسؤوليّة عن الأزمة الاقتصاديّة، لكانت وزارة الخارجيّة الأميركيّة قد أعلنته على الفور شخصاً غير مرغوب فيه، ولرحّلته في سفينة مواشي نحو لبنان. أمّا في لبنان، فقد تخاذل معظم فريق 8 آذار عن الاعتراض (حتى جميل السيّد كان مُهادناً في كلامه) ووزير الخارجيّة اللبناني كاد أن ينحني معتذراً للسفيرة. وسليم جريصاتي اتصل (كمستشار رفيع لرئيس الجمهوريّة) بالسفيرة الأميركيّة وعبّر لها عن اعتذار رسمي عن «اللغط» الذي تبع قرار القاضي الشجاع، محمد المازح، كأنّ اللغط لم يكن من صنعها هي. ثمّ، لماذا تستحق سفيرة أميركا اعتذاراً عن لَغط؟ اللغط لم يكن إلّا حقّ الشعب اللبناني في التعبير عن اعتراضه على وقاحتها. كان الحري بجريصاتي أن يعتذر من الشعب اللبناني، عن اللغط الذي ألحقته هي في لبنان. كلّ حلفاء حزب الله في 8 آذار، بدوا في الهرموجة الأخيرة خائفين مذعورين أو مطيعين متملّقين ساجدين للسفيرة الأميركيّة. ولم يشذّ عن ذلك إلا الحزب السوري القومي الاجتماعي وحركة الشعب. كذلك، كان ردّ فعل الحركات اليساريّة في الحركة الاحتجاجيّة باهتاً، ربما باستثناء بيان لـ«الحركة الشبابية للتغيير».

هناك مؤامرة أميركيّة. إسرائيليّة. سعوديّة ضدّ الشعبيّن اللبنّاني والسوري. وجوقة التهويل بخطر تهريب البطاطا والطحين إلى سوريا، تشترك فيها عن سابق تصوّر وتصميم. الفصل عن فنزويلا في كتاب جون بولتون الجديد، يُفصح عن الخط البياني للانهيار في لبنان: هكذا ضربوا العملة الوطنيّة في فنزويلا، ومنعوا المؤسسات المالية الدولية من المساعدة بحجّة انتشار الفساد، ثم استعملوا المصارف غطاءً، عبر حكومة الرئيس حسان دياب، وموّلوا حركات انشقاقية فشل معظمها. ثم هلّل بولتون لانهيار قطاعات الطاقة والاتصالات. هذا ما يريدونه في لبنان، لكنّ المؤامرة في لبنان متشعّبة: بعض حلفاء حزب الله مشارك فيها، فيما حزب الله يحميهم باسم تحالفاته الطائفيّة التي جعلت من الحزب، شاء أم لم يُرد، شريكاً فعليّاً في السلطة الفاسدة، لا بل اليد الضاربة في مفاصل الاحتجاجات. المؤامرة الأميركيّة في لبنان، استحوذت على معظم الطبقة الحاكمة والمصارف ومعظم الإعلام ومنظمات الـ«إن جي أو» والمنظمات الدوليّة (مديرة «برنامج الغذاء العالمي» تختلق الذرائع لمنع القوت عن الشعب السوري في مناطق تخضع لسيطرة النظام، وجريدة «الشرق الأوسط» الصهيونيّة تهوّل بخطر «المساعدات» التركيّة لفقراء شمال لبنان. أي أنّ السعوديّة (وأميركا) لا تمدّان يد المساعدة للبنان، ويريدان منع أي أحد من المساعدة. هذه المؤامرة مستمرّة، وهي تستفيد من حالة الانكفاء والتراجع التي يعيشها محور الممانعة، خصوصاً في جانبه الإيراني. والشبق الأميركي الإمبريالي يزداد شراسة ووحشيّة، كلّما شعر أنّ الردّ ضده معدوم. أميركا تعدّ لانقلاب في لبنان: لكنّه انقلاب يحفظ السلطة ويقصي منها فقط حزب الله. المتحالف مع ـ السلطة.

* كاتب عربي
(حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

استعرت الهجمة الأميركية بعد خطاب نصر الله الاخير إذ أنّ السفارة الاميركيّة قرّرت أنّه كان محكماً في وصفه لطبيعة الأزمة، وفي عرض خيار التعامل الاقتصادي مع الشرق

مركز وطني ومؤتمر تأسيسي

سعد الله مزرعاني *

«حوار بعبدا» الذي انعقد (ولم ينعقد!) الأربعاء ما قبل الماضي، هو نموذج عن الإمعان في المكابرة والمعاندة من قبل الطرف الأساسي في الفريق الحاكم (وضمناً الفريق المقاطع). وهو محاولة لتسخيف حجم الأزمة أو الاستخفاف بها، فضلاً عن احتقار عقول الناس لجهة المضي في تصوير أنه «ليس في الإمكان أفضل ممّا كان»! يزيد من خيبة الداعين أيضاً، أنّ ذلك الحوار قد اجتمع، على الدعوة إليه ومحاولة تأمين نصاب المدعوين لحضوره، رئيسا الجمهورية والمجلس النيابي. الرجلان لا يجمعهما ودّ منذ سنوات طويلة، لكن، سعيا معاً هذه المرة تحديداً، لمحاولة إنجاح الاجتماع وفق الصيغة التي تمّ اعتمادها. رغم ذلك، كان النصاب «الوطني» (أي الطائفي!) شبه مفقود، والنتائج شديدة التواضع إلى حدود الفشل شبه التام. ذلك أنّ ما كان يُرجى من التضامن، ولو الشكلي، في مواجهة «الخطر الأمني» خصوصاً، قد أدّى إلى تعميق الانقسام الداخلي بين أطراف الصراع التقليديين. هؤلاء، كما كان شأنهم دائماً، قد عجزوا عن الاتفاق على أي أمر إيجابي. أما ما ينعقد عليه اتفاقهم، عادةً، فتمرير الصفقات وتقاسم المغانم وتحاصص المؤسسات والإدارة والموارد الرسمية والوطنية، فضلاً عن الإمعان في انتهاك القوانين والدستور وتعطيل الإصلاحات... دائماً لحساب تعزيز المحاصصة والدويلات والعصبيات والنهب والفساد والتبعية...

«حوار بعبدا» ينتمي إلى مرحلة أفَلَت. هو يتجاهل الأزمة والنقمة. الأزمة، من جهتها، باتت أزمة نظام وكيان ومجتمع بالكامل، وليس فقط أزمة اقتصادية مدمرة يصاحبها انهيار مخيف في كل الحقول والميادين الاقتصادية والاجتماعية. لقد تحوّلت أكثرية غير مسبوقة من الشعب اللبناني إلى الفقر الفاخر والخراب، بحيث انهارت مصادر عيشها وتقلّصت مداخيلها وأفلست مؤسساتها الصغيرة والمتوسطة بتسارع يُنذر بكوارث حقيقية قد تصل إلى حد المجاعة. هذا إلى تدهور الخدمات وصولاً إلى تسارع احتمال توقفها كلياً. إنها فوضى شاملة تلك التي تضرب البلاد بسبب سوء منظومة سياسية واقتصادية، وبسبب جشع حفنة من كبار المستفيدين ممّن سخّروا كل شيء، في الدين والدنيا، من أجل تحقيق وتعظيم مكاسب وأرباح أسطورية بكل السبل وبأقذر الأساليب، ومن خلال السلطة والتسلّط، بالدرجة الأولى. حَصَرَ حوار بعبدا المدعوين بأطراف السلطة دون سواهم. هو لم يشأ حتى الاستماع إلى أصواتٍ من داخل النظام نفسه، طالما أنّ بعض أصحابها قد رحّب بانبثاق إرادة شعبية تطالب بالتغيير والمحاسبة.

أما النقمة التي أتكلّم عن بعض تداعياتها باحتمال تهديد السلم الأهلي، فقد كان الهدف من ذلك تجاهل المستلزمات الضرورية لمعالجتها، وأوّلها إحداث تغيير جذري في الأنظمة السياسية والاقتصادية... وكذلك في العلاقات في الداخل ومع الخارج.

لقد تجاهل الرئيسان الداعيان، مئات آلاف اللبنانيين الذين نزلوا إلى الشارع بدءاً من 17 تشرين الأول إلى اليوم. تجاهل الحوار أيضاً مئات آلاف آخرين، ممن لم ينزلوا إلى الشارع، أو كان جزء منهم متعاطفاً أو مؤيداً لطرف من أطراف السلطة، إلّا أنهم ساخطون، ولا شك، على السلطة الفعلية وإصرار قواها النافذة على المضي في التقاتل على المواقع والتكالب على الحصص رغم كل ما يحصل! ويقترن كل ذلك باضطراب الوضع الأمني المفتوح على أشكال من المخاطر العنفية وصراع العصبيات وتفكّك البلاد، بدعم وتحريض وتآمر خارجيين لتقسيم البلد ودفع أبنائه إلى الاقتتال على غرار ما حصل في السابق.

يجتمع أكثر الحاضرين والمقاطعين من أطراف السلطة على الإمعان في خداع المواطنين اليوم، كما في السابق. هدفهم الأول هو السعي لتحميل نتائج الأزمة لغير المسؤولين عنها، وخصوصاً من هم في مواقع القرار الأساسي في السلطة. وكلاهما يسعى بكل الطاقة لتشتيت الاعتراض الشعبي وتفكيكه وإغراقه بالانقسامات والعصبيات. ويندفع بعضهم في تبنّي تحقيق أهداف خارجية، أميركية وصهيونية أساساً، للإطاحة بالمقاومة ضد العدو، ولتمرير صفقات تصفية القضية الفلسطينية وفرض هيمنة استعمارية على المنطقة بقيادة الولايات المتحدة الأميركية وأدواتها.

لم تتأخر المنظومة السلطوية، أيضاً، في السعي لضبط إيقاع الحكومة التي فرض عليها القبول بتشكيلها عبر وكلاء وموظفين، ضمن إيقاع الممارسات التحاصصية السائدة. كلّ الآمال التي عُلّقت من قبل عديدين على تغيّر ما، عبر حكومة الرئيس حسان دياب، تتأكد خيبة أصحابها كلّ يوم. الحكومة محاصرة من داخلها وخارجها من قبل كبار المسؤولين في البلاد. الانقلاب السريع على خطة الحكومة رغم تواضعها، كشف استشراس هؤلاء في المضي بسياسة النهب، وفي تدفيع المواطنين كامل أثمان الأزمة، وفي إفلات المرتكبين من مجرّد شراكة في العزم وهم الذين كان لهم الغنم وحدهم بالنهب والسرقة والفساد. اضطرار مدير عام المالية للاستقالة خير دليل. أما حصيلة تقرير «لجنة تقصي الحقائق» النيابية، برئاسة إبراهيم كنعان ورعاية رئيس المجلس، ففضيحة صافية لجهة تزوير الأرقام وتضييع المسؤوليات ومنع استرداد المال المنهوب وخدمة المسؤولين والمصارف وحاكم المركزي. وقد استدعى هذا التقرير لتمريره التهويل بإسقاط الحكومة، عبر مناورة هزيلة لمصلحة تكليف الرئيس سعد الحريري!

إذاً «حوار بعبدا» وكل حوار يشبهه سواء بنصاب كامل أو ناقص، لن يحمل سوى المزيد من التأزم والكوارث. وحده ميزان قوى تنهض لتكوينه قوى متضررة وآزنة، سياسياً وشعبياً (تحت وطأة الأزمة المتعاظمة خصوصاً). هو ما يمكن أن يفرض صيغ حوار جدية، وبالتالي احتمالاً واقعياً للعبور إلى المعالجات الصحيحة التي تستدعي مؤتمراً تأسيسياً فعلياً لإنقاذ لبنان وشعبه من الكارثة التي أوصلها إليها النظام السابق. بالتأكيد من هنا ينبغي البدء. ذلك يعني المباشرة بإجراء مراجعة مسؤولة للمرحلة السابقة بما يعيد إلى الانتفاضة طابعها ورخمها الشعبي السياسي والمطلبي ويحررها من الاستخدام والاستغلال الداخلي من قبل أطراف في السلطة، أو من قبل أطراف خارجية لإطاحة مكاسب وطنية لبنانية في حقل المقاومة والتحرير.

ضمن السياق آنف الذكر، لا بدّ أن يقود أي تقدير مسؤول وجدي إلى ضرورة بناء مركز وطني شعبي سياسي واسع لأخذ زمام المبادرة ولحجز موقع، بالبرنامج والأولويات والتعبئة، في الصراع الدائر بشأن المعالجات وبشأن مستقبل البلاد جميعاً.

* كاتب وسياسي لبناني

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 01/666314 ـ 15، 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews، @AlakhbarNews، /alakhbarnews-paper

سوريا

دخل قانون «قيصر» الأميركي حيّز التنفيذ، قبل أسبوعين، بحزمة عقوبات أوّلية طالت الرئيس السوري بشار الأسد، وزوجته وأخاه، ومجموعة كبيرة من رجال الأعمال المقرّبين من الحكومة السورية، بالإضافة إلى ضباط بارزين في الجيش. ورغم أن التأثيرات الحقيقية للقانون لم تتبلور بعد بشكل كامل، فإنه يمكن بوضوح تلمّس تأثيراته الأولية، إن على قيمة العملة السورية التي شهدت تدهوراً حاداً أو عبر الحراك الذي انطلق لإدخال الدولة السورية في عزلة كاملة، بالإضافة إلى ضرب مركزيتها الاقتصادية، بعد السياسية والأمنية. لكن، برغم أن «الأسواق» السورية، الموزّعة بين إدلب وشمال حلب، وشرقي الفرات، ومناطق سيطرة الحكومة، تبدو مفصولة بعضها عن بعض نظرياً بحكم وقوعها تحت سيطرة أطراف مختلفة، فإنها مترابطة عملياً في شبكة مصالح معقّدة، لم تتمكن الحرب بكل ضراوتها من تفكيكها. في الأثناء، تستمر عملية بحث وتخطيط وطنية لمواجهة تداعيات العقوبات، عبر تنشيط القطاعات الزراعية والصناعية، بالإضافة إلى البحث عن مكامن الخلل في اقتصاد لم يعد يحتمل أيّ ثغرات

«قيصر» لضرب السلطة المركزية: التقسيم الاقتصادي أوّلاً!

حسين الأمين

يهدف «قيصر» إلى تجفيف موارد الدولة السورية، ومنعها من الشروع في أي عمليات إعادة إعمار في المناطق التي استعادت السيطرة عليها، فضلاً عن حرمانها من القدرة على شن عمليات عسكرية واسعة لاستعادة المناطق التي لا تزال خارج سيطرتها. وتدريجياً، بحسب ما تراه معظم مراكز الدراسات الغربية، سيؤدي الوصول إلى هذه الأهداف إلى نشوء بؤر كثيرة، رئيسية وثانوية، تتمتّع بنوع من «الحكم الذاتي»، قابل للتحوّل نحو انفصال تام. وفي هذا السيناريو، فإن البلاد

> **«الإدارة الذاتية» تسمح لتجّار مقرّبين منها بنقل القمح إلى المحافظات الخاضعة لسيطرة الحكومة**

ستكون أمام منطقتين رئيسيتين مرشحتين لتوسيع هامش الحكم الذاتي، وربما الانفصال: الأولى، تضم المناطق الواقعة تحت سيطرة الحكومة السورية المركزية، والثانية هي منطقة شمال سوريا. وتتفرّع من المنطقة الشمالية، منطقتان فرعيتان: الأولى في الشمال الشرقي الخاضع لسيطرة «قوات سوريا الديموقراطية» الكردية، المدعومة من الولايات المتحدة، والثانية في الشمال الغربي الخاضع لسيطرة الفصائل المسلحة المدعومة من تركيا. وهذا السياق محكوم بـ«الاستثناءات» التي تمنحها واشنطن للخارجين عن سيطرة الحكومة السورية، وتتمتع كلّ من المناطق التي تسيطر عليها («قسد»، والمناطق التي تسيطر عليها الفصائل الموالية لأنقرة، بهذه الاستثناءات، مبدئياً. لكن إلى اليوم، يبدو الحديث عن انفصال أي من هاتين المنطقتين، عن المركزية الاقتصادية السورية، بشكل كامل، بعيداً من الواقع، لعوامل عدة تصعّب من عملية فصل الأسواق بعضها عن بعض، وقطع التبادل التجاري.

شرقي الفرات

قبل اندلاع الحرب السورية، لطالما كانت منطقة شرقي الفرات تهتم بشكل خاص بإنتاج مواد أوّلية وأساسية كالقمح والقطن، بالإضافة إلى النفط، ثم استعمالها بعد ذلك في عملية إنتاج المواد، ولا سيما الغذائية، في معامل في غرب سوريا. ولهذا، فقد ارتبط اقتصاد المنطقة منذ عشرات السنوات، ارتباطاً وثيقاً بعمليات الإنتاج والتسويق والتصريف التي تجري بشكل أساسي في محافظة دمشق. وبهذه السياسة، أبقت الحكومة السورية المركزية مصير المنطقة اقتصادياً ببدها، ومنعت تعزيز النزعة الانفصالية لدى أهلها الأكراد، أو حتى العشائر العربية الممتدة إلى العراق. ورغم سنوات الحرب، والسيطرة الكاملة للقوى الكردية على المنطقة، فهي لم تطوّر وسائل إنتاج ذاتية جديدة، ولا أسواق تصريف، ما أبقاها «مرهونة» للاقتصاد المركزي. وتعتمد منطقة شرقي الفرات اليوم، على موارد أساسية محددة:

- عائدات القمح والقطن (كان بجانبها عائدات النفط، قبل أن تسيطر واشنطن على الحقول وسرقة إنتاجها وإخراجه نحو العراق)
- التحويلات الخارجية من أبناء المنطقة المغتربين
- دعم حكومة كردستان العراق
- دعم غربي وأميركي عبر العراق

وبالنظر إلى الموارد الأساسية التي تعتمد عليها منطقة شرقي الفرات، تظهر واضحة هشاشة الأقتصاد المحلي في المنطقة الشمالية الشرقية، واعتماده بشكل خاص على المساعدات الخارجية، وافتقاره إلى وسائل الإنتاج، باستثناء الزراعة. وحتى عند الحديث عن القمح والقطن، فإن معظم هذا الإنتاج كان يُسوّق في مناطق سيطرة الدولة السورية. وحتى العام الماضي، كانت الحكومة السورية تشتري معظم محاصيل المنطقة، قبل أن تمنع الإدارة الذاتية هذا العام المزارعين من تسليم إنتاجهم إلى المراكز الحكومية. بالإضافة إلى أن المحاصيل تتناقص بصورة هائلة منذ عام 2011، ما أدى إلى انخفاض كبير في دخل المزارعين، كما أدت الحرائق في العام الماضي، إلى ثني العديد من السكان عن زراعة حقولهم، ما خفّض الإنتاج أكثر. لكن رغم القرار العلني للإدارة الذاتية، بمنع بيع المحاصيل إلى الحكومة، فإن مصادر محلية مطّلعة أكدت لـ«الأخبار» أن «الإدارة تسمح لتجّار مقربين منها بنقل القمح من محافظة الحسكة باتجاه المحافظات الأخرى الخاضعة لسيطرة الحكومة، وبيعه هناك بأسعار أعلى». ويؤكد المصدر أن «الإدارة الذاتية لا تستطيع قطع ارتباطها بالسوق السوري العام»، إذ «تحتاج إلى الأدوية والمواد الغذائية وغيرها لسكان المنطقة، وهي تجري عمليات تبادل للسلع مع دمشق، تسلّم قمحاً وتتسلّم دواءً وغذية، وهكذا...». هنا، تجدر الإشارة إلى أنه، على سبيل المثال، لا تزال «منظمة الصحة العالمية» تعمل بشكل أساسي مع الحكومة السورية الرسمية، وفي أزمة انتشار وباء «كورونا» أخيراً، فإن المختبرات الرئيسية كافة القادرة على إجراء فحوصات الوباء تقع في دمشق والأذقية وحلب، ولم تتمكن «قسد» من تأمين حاجتها من المختبرات والفحوصات والمعدات الطبية، رغم دعم حكومة كردستان العراق، ومنظمات إنسانية دولية.

إدلب وشمال حلب

ينعكس تأثير قانون «قيصر» أيضاً بشكل مباشر على منطقتي إدلب وشمال حلب، الخاضعتين لسيطرة الفصائل الموالية لأنقرة. وفي هاتين المنطقتين، برزت خطوات استباقية قامت بها «الحكومة التركية» بالتعاون مع «حكومة الإنقاذ» التابعة لـ«هيئة تحرير الشام»، و«الحكومة السورية المؤقتة» في شمال حلب، لدفع تبعات قانون «قيصر»، وعزل المناطق المذكورة عن الاقتصاد السوري المركزي، قدر الإمكان. وأبرز الخطوات، هي محاولة استبدال التعاملات التجارية والحيوية من الليرة السورية إلى الليرة التركية، عبر ضخّ كميات كبيرة من الليرة التركية لدى الصرافين في المناطق الممتدة من إدلب إلى ريف حلب الشمالي. لكن، في المقابل، لا تزال الفصائل المسلحة حتى اليوم، مثلاً، تحمي وتدير معابر «نظامية» مع مناطق سيطرة الجيش السوري في ريف حلب الغربي، وأبرزها معبر دارة عزة للحركة التجارية. وتنتقل الشاحنات المحمّلة بالبضائع المختلفة من تركيا إلى إدلب، عبر معبر أطمة، ثم تدخل مناطق سيطرة الجيش السوري في ريف حلب الشمالي الغربي، عبر معبر دارة عزة، وفي المقابل حركة عكسية. وكانت المعابر تشهد، في الفترات السابقة، معارك بين الفصائل للسيطرة عليها، لما تدرّه من أرباح هائلة، نظراً إلى كثافة الحركة التجارية عليها.

كباش على «المعابر الإنسانية»

بعد نحو أسبوع، يحين موعد تجديد الترخيص الممنوح من قبل الأمم المتحدة لإدخال المساعدات الإنسانية إلى سوريا، من غير إذن الحكومة السورية. قبل أيام قليلة، أبلغت روسيا شركاءها في مجلس الأمن الدولي أنها لم تعد تريد سوى نقطة دخول حدودية واحدة فقط للمساعدات الإنسانية التي تقدّمها الأمم المتحدة للسكان في شمال غرب سوريا، وهي معبر باب الهوى الحدودي في غرب إدلب. في المقابل، تطلب واشنطن استخدام معبر اليعربية الواقع في أقصى الشمال الشرقي، لإدخال المساعدات. وترى موسكو أن حصر المساعدات في معبر تتحكم به حليفتها تركيا، أفضل من معبر تتحكم به القوات الأميركية في منطقة شرق الفرات، حيث تعمل القيادة الكردية مدعومة من واشنطن على الحصول على «استقلالية» في استقبال المساعدات والمعونات، بعيداً من دمشق، ما يصبّ في طريق ضرب ما تبقى من مركزية الدولة السورية.

حتى اليوم، ورغم تمتع مناطق واسعة بحكم ذاتي، وإدارة منفصلة تماماً عن دمشق، بل مناوئة لها، لا يزال الاقتصاد السوري موحداً، وكذلك السوق والإنتاج والتصريف. ورغم الهوامش الواسعة التي تتمتع بها هذه المناطق المدعومة خارجياً، فإنها لا يمكن أن تستغني تماماً عن السوق السورية الداخلية المركزية، التي لا تزال تحكم دمشق قبضتها عليها.

تصرّ واشنطن في مجلس الأمن على اعتماد معبر اليعربية الحدودي مع العراق لإدخال المساعدات الإنسانية الدولية (أ ف ب)

في مواجهة الحصار: فتّش عن الدعم الزراعي والصناعي

دمشق ـ مرح ماشي
وسام الجردي

يفرض قانون «قيصر» الأميركي، الذي دخل حيّز التنفيذ أواسط حزيران/ يونيو الماضي، تحدّيات كبيرة على الدولة السورية، وخصوصاً أنه يترافق مع انتشار فيروس «كورونا» الذي ألقى بثقله على القطاع الصحي، وسط عجز متمثل في فقد الكثير من الأدوية. إزاء ذلك، تُطرح تساؤلات مشروعة عن سبب إهمال الأمن الاقتصادي طوال السنوات الماضية، ولا سيما أن الحصار الذي اختبره جيل الآباء منذ ثمانينيات القرن الماضي كان كفيلاً بتقديم الكثير من الدروس والعبر. وعلى رغم حراجة الوضع الراهن، فإن الكثير من الخطط لا تزال تسير ببطء، ومنها الخطط الزراعية التي أبقي موعد وضعها في آب/ أغسطس المقبل، في وقت تشير فيه الإحصائيات الدولية إلى أن السواد الأعظم من السوريين بات تحت خطّ الفقر، وأن البلاد تواجه أزمة غذاء غير مسبوقة.

مع هذا، يطمئن وزير الزراعة السوري، أحمد القادري، مواطنيه إلى اعتماد زراعة أربعة أصناف من الأرز في اللاذقية وطرطوس والقنيطرة باحتياجات مائية أقلّ من تلك التي تتطلّبها الأصناف المماثلة في شرق آسيا. ويشدّد القادري على المضيّ في برنامج «إحلال بدائل المستوردات» (إنتاج الموادّ محلياً بدلاً من استيرادها)، مسهباً في الحديث عن توزيع الدجاجات المنزلية البياضة والبذار وأسماك الأحواض، ومشاريع متعلّقة بصنع المربى والأجبان والألبان.

لكن في المقابل، لا تفتأ طوابير السوريين أمام المخابز والمؤسسات الاستهلاكية تزداد طولاً، في ظلّ فقدان عدد من السلع وارتفاع سعر بعضها الآخر. بات تحت خطّ الفقر، وأن البلاد مشهدٌ يعدّ واحداً من تجلّيات تراجع قطاعي الزراعة والصناعة، في بلاد واجهت العالم قبل عقود بالحدّ الأدنى من الأمن الغذائي، حين كانت تكاد من زراعتها وتلبس من صناعتها، بعيداً من الحاجة إلى المستوردات لسدّ الرمق. واليوم، يرى كثيرون أن مقوّمات «الاكتفاء الذاتي» لا تزال متوافرة، وأن تفعيلها لا يتطلّب أكثر من قرارات بسيطة. وفي هذا الإطار، يشدّد الصناعي عاطف طيفور على ضرورة دعم الحكومة للمنتج الزراعي بـ 40% من قيمته في المرحلة الأولى من إنتاجه، بما يكفل تعويض ذلك الدعم عبر ما يمكن جنيه من الصناعات المحلية في مراحل لاحقة، وصولاً إلى أرباح طائلة مع وصول هذه الصناعات إلى مرحلة التصدير.

أين القروض الزراعية والمدن الصناعية؟

على رغم أهمية الإجراءات الهادفة إلى منع المضاربة بالعملة والحفاظ على الليرة السورية، إلا أن توقف القروض الصغيرة خلّف آثاراً سلبية على أصحاب هذه المهن، الذين لا يقترضون عادة أكثر من مبالغ متواضعة تُمكّنهم من شراء المواد الأولية اللازمة لمشاريعهم، ولا يمكنهم استغلالها في المضاربات. وفي هذا السياق، يعتقد طيفور أن من غير الجائز توقف دعم المصرف الزراعي، قائلاً: «تعوّدنا على العقوبات. إنما التخطيط ضرورة، وعدم الالتفات إلى الزراعة اليوم يعتبر جريمة. ورغم كثرة العقوبات ما زلنا مستهلكين». ويشير إلى التحوّل التدريجي للبلاد «المكتفية» إلى دولة استهلاكية مستوردة كلبنان، أو حتى دول الخليج التي تستورد ما يقارب 80% من غذائها. وينقل مطالب الصناعيين بدخول المناطق الصناعية المتضرّرة إلى العمل وفق قوانين واضحة تكفل عودتها إلى الإنتاج مع تسهيلات جمركية وتأمين حلول للمواد الأولية اللازمة.

من جهته، لا ينكر مدير التخطيط والتعاون الدولي في وزارة الزراعة، هيثم حيدر، في حديث إلى «الأخبار»، «(أننا) لم نضع خططاً حتى الآن. نضع عادةً خطة سنوية كاملة لجميع الزراعات في الشهر الثامن». لكنه يطمئن السوريين إلى أن تنفيذ زراعة القمح لهذا العام تمت بنسبة 75%، وبأكثر من ذلك في ما يخصّ بقية الزراعات، باستثناء الشمندر السكري والقطن نتيجة تخريب شبكات الريّ. وحول إمكان زيادة سعر منتج القطن أسوة بالقمح، يجيب حيدر بأن «أيّ سياسة لزيادة الإنتاج ترافقها سياسة سعرية لدعم المزارعين». وكانت الحكومة السورية قد رفعت سعر محصول القمح من 225 إلى 400 ليرة للكيلو الواحد لتشجيع الفلاحين على بيعه، فيما يحدّد مسؤولو ما يسمّى «الإدارة الذاتية» سعر القمح على أساس سعر صرف الدولار المسجّل قبل يوم واحد من صرف الفواتير. وتُقدّر وزارة الزراعة مساحات القمح المزروعة لهذا العام بـ 1,3 مليون هكتار.

> **خلف توقّف القروض الصغيرة آثاراً سلبية على أصحاب هذه المهن**

تركيا تغرق الأسواق بمليارَي دولار
التهريب يكمل ما بدأته العقوبات

زياد غصن

قبل حوالى ثلاث سنوات، قدّرت دراسة اقتصادية محلية خسائر الاقتصاد السوري الناتجة عن ظاهرة التهريب بأكثر من ستة مليارات دولار. لكن يبدو أن هذا الرقم بات اليوم مرشّحاً للزيادة أكثر مع انتشار جغرافي أوسع للظاهرة، وتعمّق تأثيراتها في ظل تشديد الغرب لعقوباته، ومحاولة بعض الدول إغراق السوق السورية بسلع وموادّ ترهق سوق القطع الأجنبي.

يتذكّر أبناء القرى الحدودية مع لبنان، كيف استيقظوا فجر ذات يوم من عام 1993 على أصوات مكبرات صوت المساجد، وهي تعلن فرض حظر كامل للتجوال. هذا في وقت كان فيه العناصر الأمنيون يملؤون الشوارع ومداخل القرى استعداداً للقيام بحملة تفتيش واسعة للمنازل والمحالّ التجارية، وحتى البساتين، بحثاً عن السلع المهرّبة والمهرّبين. آنذاك، لم يُقبَض على الظاهرة نهائياً، رغم تكرر الحملات الأمنية، لكن لم تعد كالسابق بأسواقها الشهيرة وسلعها وأعداد العاملين فيها.

اليوم، يتكرر المشهد ذاته مع تباين في الظروف. فالبلاد التي لا تزال تعاني من خسائر الحرب والعقوبات، تجد نفسها بمواجهة عملية استنزاف لما تبقّى من مواردها. عملية زادت حدّتها، على خلاف المتوقّع، مع عودة مناطق واسعة لسيطرة الحكومة، ما دفع بالسوريين إلى اعتبار أن المعركة مع «دواعش الداخل» باتت أولوية لتتمكّن البلاد من تجاوز الأزمة واستعادة ثقة المواطن.

يأتي التهريب ثالثاً بين الظواهر الاجتماعية السلبية الأكثر انتشاراً خلال سنوات الحرب بمعدل انتشار حوالى 2 وفق سلم القياس المحدد من صفر حتى 10، بحسب نتائج مسح السكان لعام 2014، وذلك خلف ظاهرتي الاحتكار والسرقة. تشير البيانات إلى أن ظاهرة التهريب تكاد تكون حاضرة مع جميع الدول المجاورة، وإن بنسب مختلفة. وتكشف البيانات أن محافظة الحسكة تتصدّر القائمة، حيث سجّلت معدّل انتشار قُدّر بحوالى 5، فمحافظة إدلب ثانياً بحوالى 3,6، ثم محافظتا دير الزور والرقة ثالثاً ولكل منهما 3,2، أمّا رابعاً فجاءت كلّ من حمص وحماة ولكل منهما 2,1، وحلّت خامساً حلب وريف دمشق بـ 1,8.

المخاطر الأكبر

ثلاثة أسباب تجعل من خطر التهريب اليوم أكبر من أي وقت مضى، فهو يكاد يضاهي بتأثيراته السلبية العقوبات والاحتلال الأميركي لحقول النفط.

أول تلك الأسباب، يتمثّل في البعد السياسي، مع محاولة إغراق السوق، وهي سياسة تعمل على تنفيذها تركيا منذ سقوط أوّل معبر حدودي (باب الهوى) بيد المجموعات المسلحة أواخر عام 2012. تسعى تركيا إلى إعادة إنعاش صادراتها التي تراجعت إلى مستوى متدنّ في عام 2012 (نصف مليار دولار)من جهة، ومن جهة ثانية تحاول زيادة حدة المشاكل التي يواجهها الاقتصاد السوري، سواء بتعطيل استعادة إمكاناته الإنتاجية أو الضغط على ما يتوفر لديه من قطع أجنبي. وبحسب رئيس اتحاد غرف الصناعة السورية فارس الشهابي، فإن كل ما تصنّفه الحكومة التركية

> **مثّل التهريب في مرحلة ما إحدى أدوات مواجهة الحصار**

«صادرات» لها إلى سوريا ليس سوى مهربات تدخل إلى مناطق سيطرة المسلحين في الشمال، ومنها تتسلل عبر شبكات التهريب إلى المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة السورية. وهذا يُعد برأي الشهابي أكبر مشكلة تعترض المنتج المحلي وتستنزف موارد القطع الأجنبي بشكل دائم. ويمكن الاستدلال على حجم السلع التركية المهرّبة من خلال استعراض البيانات الإحصائية المتعلقة بما تعتبره أنقرة صادرات إلى سوريا، وهي تكشف أن قيمة الصادرات التركية إلى الشمال خلال العام الماضي وصلت إلى حوالى 1,7 مليار دولار، بزيادة قدرها 400 مليون دولار عن عام 2018، حين بلغت 1,3 مليار دولار. وهذه الأرقام تتقاطع مع البيانات الرسمية التركية، وتتساوى مع إجمالي الصادرات المعلنة رسمياً في عام 2010.

ثانّي الأسباب، يتعلّق بتحوّل التهريب من كونه مهنة غير شرعية تُمارس في الخفاء وضمن مناطق حدودية معينة (لم يتجاوز المعدل قبل الأزمة 0,5)، إلى عمل منظّم تقف خلفه شبكة واسعة من أمراء الحرب والسماسرة وبنية تحتية من الآليات والتجهيزات. وبحسب مدير «مركز دمشق للأبحاث والدراسات» هامس زريق، فإن التهريب في المناطق الحدودية مع لبنان تحوّل «من بنية فردية شبه منظمة إلى شبكة معقّدة من المصالح وبنية مافياوية تدخل فيها مصالح لجهات نافذة من البلدين وتفكيكها لن يكون بالأمر السهل، فلم يعد العمل فيها مقتصراً على قاطني المناطق الحدودية». ذلك مقارنة بحجم السلع والبضائع التي يجري تهريبها من وإلى البلاد، والتي تتباين التقديرات حول قيمتها، لكنها لا تقل عن 200 مليون دولار شهرياً بالنسبة إلى البضائع المهربة إلى سوريا، وهي تفوق بأضعاف احتياجات المناطق الخاضعة لسيطرة المسلحين الموالين لتركيا، ما يشير بوضوح إلى أن الهدف النهائي للسلع التركية المهربة هو أسواق العمق السوري. يشار إلى أن تقديرات غير رسمية حدّدت، قبل نحو ثلاث سنوات، حجم المهربات الشهرية التي تدخل السوق السورية بنحو 250 مليون دولار، بينما تؤكد مديرية الجمارك العامّة أنها وضعت يدها على أكثر من 22,7 ألف قضية تهريب خلال السنوات الثلاث الأخيرة، ترتب عليها غرامات بحوالى 194 مليار ليرة.

تدفّق في الاتجاهين

أمّا السبب الثالث، الذي يجعل من التهريب أكثر خطراً اليوم، فيكمن في طبيعة السلع المهرّبة، والتي كانت سابقاً تقتصر على بعض السلع المدعومة كالمشتقات النفطية والطحين، أو تلك التي كان يمنع استيرادها لأسباب اقتصادية أو حتى للممنوعات. ما تعيشه الدول المجاورة حالياً من أوضاع اقتصادية سلبية وتنافسية برأي الشهابي أكبر مشكلة تعترض المنتج المحلي وتستنزف موارد القطع الأجنبي بشكل دائم. ويمكن الاستدلال على حجم السلع التركية المهرّبة من خلال استعراض البيانات الإحصائية المتعلقة بما تعتبره أنقرة صادرات إلى سوريا، وهي تكشف أن قيمة الصادرات التركية إلى الشمال خلال العام الماضي وصلت إلى حوالى 1,7 مليار دولار، بزيادة قدرها 400 مليون دولار عن عام 2018، حين بلغت 1,3 مليار دولار. وهذه الأرقام تتقاطع مع البيانات الرسمية التركية، وتتساوى مع إجمالي الصادرات المعلنة رسمياً في عام 2010.

ثانّي الأسباب، يتعلّق بتحوّل التهريب من كونه مهنة غير شرعية تُمارس في الخفاء وضمن مناطق حدودية معينة (لم يتجاوز المعدل قبل الأزمة 0,5)، إلى عمل منظّم تقف خلفه شبكة واسعة من أمراء الحرب والسماسرة وبنية تحتية من الآليات والتجهيزات. وبحسب مدير «مركز دمشق للأبحاث والدراسات» هامس زريق، فإن التهريب في المناطق

يكاد التهريب، اليوم، يضاهي بتأثيراته السلبية العقوبات والاحتلال (الأناضول)

العراق

مصطفى الكاظمي: اختبار النجاح... فالبقاء!

أتمّ مصطفى الكاظمي، شهره الثاني رئيساً لوزراء العراق، «حاكم بغداد» في الزمن الصعب. وفي أعقد الظروف. ثمّة عوامل عدّة من شأنها أن تكون سبباً في نجاح تجربته. وهذا يعتمد على «صوابيّة» القرار، ودقّة الاستشارة/ النصيحة المقدّمة إليه. يسير الكاظمي في حقل من الألغام المتشابكة. واجتيازها يتطلّب «خفّة في العبور». أسئلة كثيرة تُطرح إزاء مصيره. في وقتٍ ترفض فيه مصادر بارزة «تقييم التجربة» - راهناً - وتدعو إلى منحه مزيداً من الوقت لبيان قدرته على مواجهة «استحقاقات أقسى»

نور أيوب

تحدياتٌ بالجملة يواجهها رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي، منها داخلي ومنها خارجي. يسير الرجل في حقل من الغام متشابكة. انفجار أحدها يعني انفجارها جميعاً دفعةً واحدة. يدرك الكاظمي جيّداً أن الأحزاب والقوى، التي «دُلّلت» العقبات أمامه لتسنّمه المنصب، جاهزة، وفي أي لحظة، للتخلّي عنه، نزولاً عند رغبة خارجية أو مصلحة سياسية. يدرك الكاظمي، جيّداً أيضاً، أن لهذه الأحزاب والقوى خطابين متناقضين، في كثير من الأحيان، تحت الضوء وبعيداً منه. وهذا ما يعرقل خطوات حكومته في تنفيذ سياساتها («الإصلاحيّة» وإجراءاتها. في المقلب الآخر، ثمّة من يتّهم الكاظمي بـ«تقديم خطاب متناقض كثيراً... فالمرحلة متخمة بالشعارات، بحتة، وأخرى يتداخل فيها العاملان الداخلي بالخارجي. المشهد العراقي معقّد للغاية، ويزداد تعقيداً يوماً بعد آخر، لأسباب عدّة، أبرزها:

1- افتقار الدولة العراقيّة ومؤسساتها إلى القدرات والإمكانات اللازمة لمواجهة التحدّيات الصحّية والاقتصادية.

2- الحسابات الخاطئة (بناءً على نصائح خاطئة) التي تنعكس مباشرة سياسات وقرارات وإجراءات، وتوجب، في المقابل، ردود فعل قد تقضي على الكاظمي وحكومته.

3- استشراء الفساد في مؤسسات الدولة وأجهزتها، وعجز دعاة محاربته عن ذلك، أو انخراطهم بشكل أو بآخر في هذه المنظومة.

أمام هذا المشهد، ثمّة من يحذّر من عودة موجة الاحتجاجات الشعبية، وخاصّة أن الحكومة الاتحاديّة فشلت في ضبط انتشار «كورونا». فشلٌ لا يتحمّله الكاظمي، بل المنظومة الحاكمة التي عجزت طوال الأعوام الماضية (منذ نيسان/ أبريل 2003) عن تأسيس وبناء قطاع صحّي قادر على تأمين الرعاية اللازمة للمواطنين في مختلف الظروف. شكلاً ومضموناً، ستكون الاحتجاجات مختلفة عن تلك التي خرجت في 1 تشرين الأوّل/ أكتوبر الماضي. أحزاب «البيت الشيعي»، وتحديداً فصائل المقاومة، ستكون حاضرة وبقوّة. ثمّة تخوّف جدّي من أي «انفلات أمني»، هذه المرّة، وفق أكثر من مصدر، لا يمكن ضبط الشارع «الملتهب»، وخصوصاً بعد حزمة من القرارات التي اتخذها الكاظمي، ساهمت في زيادة «الشرخ»، سياسياً وجماهيرياً:

1- مداهمة البوعيثة، وتبعاتها (راجع «الأخبار»، عدد 4085). هذه الخطوة وحّدت من موقف الفصائل ضد الكاظمي.

2- الركون إلى الدعم الإقليمي والدولي، لضبط بعض «المشاغبين» الصغار، واللجوء إلى قوى دون أخرى، على قاعدة «دعم الكبير خيرٌ من دعم الصغير».

3- إعلان القضاء العراقي عن نيّته إصدار عفو عن: طارق الهاشمي ووائق البدري، وأحمد العلواني، وأثيل النجيفي وعلي حاتم السليمان.

4- إضعاف خصومه السياسيين، بتعويم وجوه وإقصاء آخرين، في توجّه يخدم علاقات الكاظمي الإقليمية والدولية.

في النقطة الأولى والثانية، بدا واضحاً أن علاقات الكاظمي مع طهران وواشنطن، راهناً، «طيّبة». لهذا السبب، تعوّل الأولى على نجاح حوار من شأنه أن يحقّق هدفها الاستراتيجي: انسحاب الاحتلال الأميركي من العراق. إن حقّق الكاظمي هذا الهدف، فقد يكون الدعم الإيراني «شبه مفتوح». في المقابل، تترقّب واشنطن التزام الكاظمي ببيانه الوزاري، وتحديداً في الشقّ المتعلّق بـ«ضبط سلاح الفصائل». ما جرى في البوعيثة، الأسبوع الماضي، بيّن الضعف الحكومي إزاء قوّة الفصائل. والسؤال هنا: كيف قرأت واشنطن حادثة البوعيثة؟

إضافةً إلى ذلك، بدا واضحاً أيضاً أن الكاظمي يفضّل فريقاً على حساب آخر. القوى المكوّنة لـ«تحالف الفتح» والمؤيّدة لـ«الحشد الشعبي»، وعلى رأسها هادي العامري وقيس الخزعلي وأحمد الأسدي (إضافة إلى نوري المالكي)، تنظر بامتعاض أقرب إلى السخط على أداء الكاظمي. هنا السؤال: هل ثمّة تناقُض ما، استطاع الكاظمي الاستفادة منه؟ داخل العراق وخارجه؟

في النقطة الثالثة، وبمعزل عن صوابيّة القرار، ثمّة من يراه ضرباً لصدقيّة القضاء العراقي، وتحديداً لشخص رئيس «مجلس القضاء الأعلى» فائق زيدان. هل لُفّقت تهمٌ لهؤلاء الأربعة سابقاً؟ الإجابة بـ«نعم» تعني أن القضاء مسيّس. أمّا الإجابة بـ«لا» فتوجب أسئلة عدّة، أبرزها: ماذا يريد الكاظمي بخطوته تلك؟ في هذا السياق، تجدر الإشارة إلى وقفة شعبيّة، قبل أيام، تنديداً بهذه القرار.

الإجابة عن سؤال ماذا يريد الكاظمي، يمكن تلمّسها في النقطة الرابعة: إضعاف الخصوم. ثمّة من يعتقد أن الكاظمي يسعى إلى تفريغ خصومه السياسيين، وتحديداً كل «لاعب» قد يشكّل خطراً/ منافساً له. هذه الاستراتيجيّة تستند إلى إشغال الخصوم بالخصوم. الوجوه الأربعة ستزعج رئيس البرلمان محمد الحلبوسي، الساعي إلى بسط زعامته على مكوّنات «البيت السُنّي». قرارٌ قد يساهم في «تفريق» حلفاء الحلبوسي، ودفعهم إلى التموضع مجدّداً في معسكر سيكون ناتجه دعم الكاظمي.

كذلك، يسعى الكاظمي إلى سحب أوراق القوّة بيد خصومه داخل «البيت الشيعي». كل وجه قد يكون «قنّاة» اتصال معتمدة بين الشرق والغرب سيكون تلقائياً «هدفاً للإقصاء». ثمّة من يقول ممازحاً إن «الدولة أصبحت بوليسيّة»، في إشارة إلى «إطلاق الكاظمي يد جهاز المخابرات». في المقابل، ثمّة من يدافع عن هذه الرؤية بالقول إن «منطق الدولة يفرض اعتماد قناة محدّدة، هي رئاسة الوزراء، توزّع بدورها المهمّات على المسؤولين والمعنيين». وبمعزل عن هذا الحديث، يتوقّع في الأيّام المقبلة تغييرات «صادمة» لرؤساء بعض الأجهزة العسكريّة والأمنيّة، في ضوء ستحمل دلالات كثيرة بناءً على الوجوه/ الخيارات البديلة.

بدا واضحاً أن علاقات الكاظمي مع طهران وواشنطن، راهناً، «طيّبة»

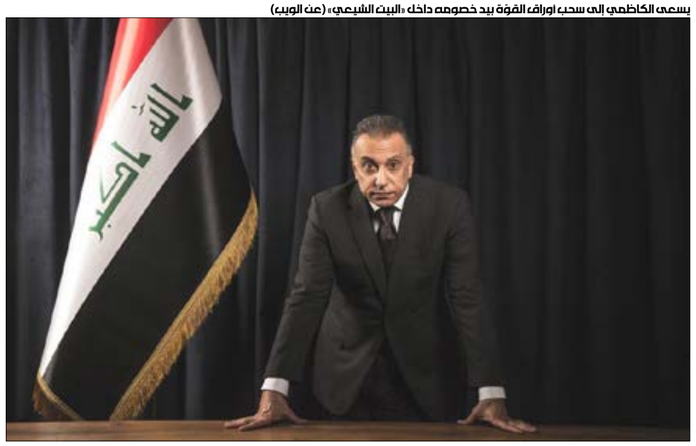
يسعى الكاظمي إلى سحب أوراق القوّة بيد خصومه داخل «البيت الشيعي» (عن الويب)

كتلة الحكيم الجديدة: لحماية الحكومة

قبل أيّام، أعلن زعيم «تيّار الحكمة الوطني» العراقي عمار الحكيم، عن تحالف برلماني - جماهيري كبير لإيجاد توازن برلماني وسياسي في الساحة العراقية، والمساعدة على تقوية الدولة ومؤسساتها، والتعاون على استقرار البلاد وتجاوز الأزمات العالقة التي تعانيها». الإعلان مردّه إلى «التجاذبات والمناكفات السياسية التي أنعشت وأنهكت الدولة ومؤسساتها، ما يفرض إيجاد توازن سياسي يساعد على تقريب وجهات النظر العراقية، وتخفيف الاحتقان السياسي، وتمكين صوت الاعتدال الوطني». وهذا التحالف «سيكون إضافة نوعيّة من حيث سماته ومشروعه»، بتعبير مقرّبين من الحكيم، وخاصّة أنّه «لا يملك فصائل مسلّحة، ولا يؤمن بالأطر الطائفية والقومية، ومنفتح على جميع الأطياف».

ووفق مصادر مقرّبة من الحكيم، فإن الإعلان سيفرض «معادلة جديدة» في المشهد السياسي لبلاد الرافدين. 5 كتل «خمسينيّة» ستحكم البرلمان العراقي، هي: «سائرون» المدعومة من زعيم «التيّار الصدري» مقتدى الصدر)، «اتحاد القوى» (بزعامة رئيس البرلمان محمد الحلبوسي)، «تحالف الفتح» (بزعامة الأمين العام لـ«منظمة بدر» هادي العامري، وهو تكتّل برلماني للقوى المؤسَسة لـ«الحشد الشعبي»)، «عراقيّون» (بزعامة الحكيم) وتحالف «القوى الكرديّة». المصادر تقول إن «المعادلة هنا ستختلف كثيراً عما كانت عليه سابقاً، وخاصّة أن الإعلان يمنح القوى الكردية والسُنّية خياراً شيعياً ثالثاً للتحالف والتفاهم معه»، مضيفة في حديث إلى «الأخبار» إن «زعيم «تحالف النصر» حيدر العبادي، قد يلتحق بمعسكر الحكيم مع نوّاب آخرين»، علماً بأن عدداً من النوّاب سبق أن «رفضوا إدراج اسمائهم في هذا التحالف»، وهذا ما يفرض على الحكيم تقديم قائمة «ثابتة» بأسماء النواب المنضوين تحت رايته.

لكن، وبمعزل عن حديث الأسماء والأرقام، فإن هذه الخطوة تحمل أكثر من دلالة توجب الإشارة إليها:

1- بهذه الكتلة، استطاع الحكيم أن «يحمي» رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي. يرفض الأوّل تكرار سيناريو عادل عبد المهدي، مع الكاظمي «مسيرة الولاية الثانية». فالأخير لا يسعى إلى تأسيس حزب أو كتلة برلمانيّة بالمعنى المباشر، أمّا الأوّل، فيعمل على «الحفاظ» على الكاظمي، بشتّى السبل، سياسيّاً وبرلمانيّاً وجماهيريّاً. من هذا «التحالف»، ومن هذا العدد، يستطيع الحكيم الانطلاق إلى «الفضاء الوطني»، وعقد تفاهمات من شأنها إنتاج رئيس وزراء، في المرحلة التي تلي إجراء الانتخابات التشريعية المبكرة.

2- أراد الحكيم من هذه الخطوة الانفتاح أكثر على المؤثّرين في المشهد العراقي، شرقاً كانوا أو غرباً، وفرض نفسه، ومن معه، كخيار عراقي معتدل، يضمن مصالح الجميع بمنهج يرضي الجميع أيضاً.

3- يسعى الحكيم إلى «فكّ أي ارتباط» مع الصدر. خروجه سابقاً من «تحالف الإصلاح والإعمار» (تحالف سياسي برلماني ضمّ الصدر والحكيم والعبادي وإياد علّاوي وآخرين...)، وانتقاله إلى «الجبهة المعارضة» لحكومة عادل عبد المهدي، ومن ثم دعمه للكاظمي، بمعزل عن توجّهات الكتل «الشيعية» الأخرى، يؤكّد أن خيارات سياسية أخرى لا يمكن «اختزالها» بتحالف «تقليدي». بل توجب البحث عن بدائل يُستطاع من خلالها تكريس «الحكمة» كخيار «شيعي» معتدل، ينظر القوى المحلّية والإقليمية والدولية.

هذه الخطوة، لا يمكن فكّها أيضاً عن مسار الحكيم السياسي، وخياره «الجريء» بالانفصال عن «المجلس الأعلى الإسلامي العراقي» (تموز/ يوليو 2017). ثمّة من يسأل هنا عن «علاقات» الحكيم مع المؤسسات الرسمية الإيرانية، المعنيّة بالملف العراقي، و«تفاعله» مع جدول أعمالها، وإتقانه «اللعب» على تناقضاتها.

تهدف الخطوة إلى الانفتاح أكثر على المؤثّرين في المشهد العراقي، شرقاً كانوا أو غرباً

سيفرض الإعلان «معادلة جديدة» في المشهد السياسي لبلاد الرافدين (عن الويب)

تقرير

غضب واشنطن ينفجر بهونغ كونغ: هامش المناورة يضيق

توازياً مع إقرار «قانون الأمن القومي» في هونغ كونغ، اجّجت الولايات المتحدة حملتها ضدّ الصين. بدءاً بأمن مطاعمة الإقليم ذاته عبر إلغاء معاملته التفضيلية بحجّة «تقويض» القانون الحكم الذاتي فيه. وكذا إقرار تشريع في الكونغرس الأميركي يلحظ فرض عقوبات على مسؤولين صينيين ضالعين في تطبيق القواعد الأمنية الجديدة في المدينة

تعتزم لندن تسهيل منح الجنسية للآلاف ملايين شخص (أ ف ب)

أقرّ الكونغرس الأميركي مشروع قانون يلحظ فرض عقوبات على المسؤولين الصينيين الذين يقوّضون أسس الحكم الذاتي في هونغ كونغ، بموجب «قانون الأمن القومي»، الذي وصفته رئيسة مجلس النواب، نانسي بيلوسي، بأنه «حملة وحشية كاسحة» على الإقليم. النصّ الذي صادق عليه، بالإجماع، مجلسا النواب والشيوخ، ويدعم وتأييد كلا الحزبَين الديمقراطي والجمهوري، يُعتبر حراكاً «مستقلاً» عن إجراءات الإدارة الأميركية. لزيادة الضغط على الصين. إزاء ذلك، وفيما يأمل الحزبان أن يوقّع الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، التشريع المناوئ للصين، ليصبح قانوناً، لا يزال موقف البيت الأبيض ملتبساً، رغم عدم استبعاد وزير الخارجية، مايك بومبيو، تبنّي واشنطن إجراءات أميركية جديدة ضدّ بكين، جنباً إلى جنب مواصلة العمل لإنهاء الوضع التفضيلي الممنوح لهونغ كونغ، بعدما أصبحت «مجرّد مدينة أخرى يقودها الشيوعيون».

إذاً، يسمح مشروع القانون بمعاقبة أيّ شخص أو كيان يساند المسؤولين الصينيين ماديّاً في انتهاك التزامات الدولة. ويذكر مُعدّا النص، السيناتوران الديمقراطي كريس فان هولن، والجمهوري بات تومي، على وجه الخصوص، «قادة في الحزب الشيوعي الصيني المسؤولين عن فرض قانون حول الأمن القومي في هونغ كونغ»، وكذا وحدات من الشرطة متورّطة في قمع المتظاهرين في المدينة، ويشيران إلى المصارف التي تبرم «صفقات مهمّة» مع أشخاص وكيانات تخضع للعقوبات. وفي حال وقّع ترامب هذا النصّ، سيسمح القانون لواشنطن بفرض عقوبات على «أيّ شخص شارك في ممارسات لقمع الحريات الأساسية التي تم التعهّد بها» لسكان المدينة، وفق ما أوضح السيناتور تومي. وشدّد على نقطة «أساسية» في القانون «تخرم المصارف التي تقرّر تمويل قضم الحكم شبه الذاتي في هونغ كونغ».

ورغم تهويل الكونغرس، يعتقد محلّلون أن «المصالح المشتركة» بين واشنطن وهونغ كونغ، تعطي ترامب هامش مناورة أقلّ، وخصوصاً على المستوى التجاري؛ فالرئيس الأميركي توخّى خفض مستوى الوضع الجمركي في الإقليم الصيني، خشية أن يأتي بنتائج عكسية. وتفرض الولايات المتحدة، راهناً، رسوماً جمركية منخفضة نسبياً على وارداتها من هونغ كونغ، بينما لا تفرض الأخيرة أيّ رسوم على المنتجات الأميركية، باستثناء التبغ (في عام 2019، صدّرت هونغ كونغ سلعاً بقيمة 5 مليارات دولار إلى الولايات المتحدة، واستوردت بـ31 مليار دولار منتجات من الأخيرة). بمعنى أوضح، إذا قررت واشنطن شمول هونغ كونغ بالرسوم العقابية المفروضة على الصادرات الصينية، سيؤدّي هذا إلى ردّ فعل انتقامي من المدينة يُفقد المنتجين الأميركيين سوقاً مهمّة. إلا أن التوتّر الأميركي - الصيني المتصاعد، دفع بقرار واشنطن وقف تصدير العتاد العسكري والتكنولوجيا إلى هونغ كونغ، ما من شأنه أن يضع البلدين في مسار صدامي متقدّم.

وليست أميركا وحدها، إذ تدفّقت الآراء المعارضة للقانون من الحكومات الغربية، بسبب «مخاوف» من أن يؤدي تقويض الحكم الذاتي إلى إطلاق عصر جديد من القمع السياسي في المدينة. والحكم الذاتي القانوني، الممنوح مع حريات أخرى للمواطنين، ضُمنه لـ 50 سنة اتّفاق إعادة بريطانيا لمستعمرتها السابقة إلى الصين في عام 1997، بموجب مبدأ «دولة واحدة ونظامان». وأدى ذلك إلى قيام جدار حماية بين المدينة والنظام القضائي الصيني، وساهم في أن تكون هونغ كونغ بوابة عبور لمؤسسات أجنبية إلى البرّ الرئيس. لكن هذا الموقع سيظلّ، ربّما، في أولوية الاعتبارات بالنسبة إلى المستثمرين. فأسواق الأسهم والعقارات في المدينة غرقت بمليارات الدولارات من البر الرئيس في السنوات الأخيرة (في نهاية العام الماضي، بلغت حصة تلك الشركات 73%، أو 3,4 تريليونات دولار من القيمة السوقية، بحسب مجلس التنمية التجارية لهونغ كونغ). من هنا، يُفهم تأييد قطاع التجارة والأعمال القانون باعتباره سبيلاً لاستئناف النشاط التجاري في المدينة. فغرفة التجارة العامة لهونغ كونغ، وصفت تبنّي القانون بأنه «مهمّ للمساعدة على استعادة الاستقرار والثقة إلى المدينة التي تضرّرت بشدّة من الاضطرابات الاجتماعية منذ العام الماضي». وانضم المصرفان البريطانيان العملاقان «إتش إس بي سي» و«استاندرد تشارترد»، اللذان يتمتعان بحضور كبير في هونغ كونغ وفي البر الصيني، إلى مؤسسات أخرى في دعم القانون علناً الشهر الماضي. ويعتبر المحلّلون أن القانون يمكن أن يزيد من مخاطر وتعقيدات القيام بأنشطة تجارية في المدينة، لكنّه من غير المرجّح أن يتسبّب بخروج جماعي للمؤسسات الأجنبية. لندن، من جهتها، احتجّت على خرق القانون للاتفاق الصيني - البريطاني، معلنةً عزمها المضيّ قدماً في خطط تسهيل منح الجنسية البريطانية لنحو ثلاثة ملايين شخص من هونغ كونغ، قبل أن تنضمّ إليها كل من أستراليا وتايوان. صحيح أن القانون ينتهك ذلك الاتفاق وكذا «القانون الأساسي» (دستور هونغ كونغ المصغّر)، واللذين يمثّلان حجر الزاوية في الحكم الذاتي، وربّما ليس من المبالغة أن تكون الخطوة الصينية هذه هي الأسوأ التي اتّخذتها بكين، حتّى الآن، في محاولتها خنق الديناميكية السياسية في المدينة، عبر إعادة هيكلة العلاقة وإسقاط قانون الحماية القضائي القائم بين القضاء المستقل في المدينة ومحاكم البر الرئيس، إلا أن اتساع الحراك الانفصالي، المدعوم أميركياً وغربياً، لم يترك أمامها من خيار.

(الأخبار)

تفرض الولايات المتحدة، راهناً، رسوماً جمركية منخفضة نسبياً على وارداتها من هونغ كونغ

ن. أ

إعلانات رسمية

نقابة المهندسين في طرابلس
دعوة الهيئة الانتخابية

عملاً بالمواد من 18 – 29 – 32 – 34 من قانون تنظيم مهنة الهندسة والمواد 5 (1 – 2 – 3 – 5 و 6) – 9 (2 و3) من النظام الداخلي والمادتين 4 و7 من قانون الصندوق التقاعدي وعطفاً على قانون تعليق المهل رقم 160/2020 وتبعاً لقرارات التعبئة العامة.
تدعى الهيئة العامة لعقد جلسة انتخابية لانتخاب:
● النقيب
● عضو لمجلس النقابة عن فرع مهندسي الكهرباء الاستشاريين
● عضو لمجلس النقابة عن فرع مهندسي الميكانيك الاستشاريين
● عضوين لمجلس النقابة عن الهيئة العامة
- انتخاب عضو للجنة إدارة الصندوق التقاعدي من أعضاء المجلس السابقين.
- انتخاب عضوين أصليين وعضوين رديفين للمجلس التأديبي.
- انتخاب ثلاثة أعضاء للجنة مراقبة حسابات الصندوق التقاعدي.
جلسة أولى: يوم الأحد في 2020/7/19
جلسة ثانية: يوم الأحد في 2020/7/26
تفتح صناديق الاقتراع من الساعة التاسعة صباحاً ولغاية الساعة السادسة بعد الظهر
ويشارك المهندسون الذين سدّدوا كافة الرسوم السنوية عن السنة المالية 2020/2019 قبل أول من آذار 2020.
النقيب بسام زيادة

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض العائد لشراء ساعات قياس ضغط وحرارة لزوم معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ت4/1037 تاريخ 2019/2/5، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2020/8/7 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - امانة السر - الطابق 12 (غرفة 1223)، مبنى كهرباء لبنان - طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 50/ ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الاحوال تقديم عروض جديدة افضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان - طريق النهر - الطابق «12» - المبنى المركزي.

بيروت في 2020/6/29
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 628

وثيقة نشر خلاصة حكم

محكمة الاستئناف المدنية الناظرة بدعاوى الغش في بيروت
حكم صادر عن الرئيس حبيب مزهر
والمستشارين ادهم قانصو ونادين ابو علوان
رقم الدعوى: 2019/24
رقم القرار: 2020/20
المدعي: الحق العام
المدعى عليه: داني علي غندور
الجرم: عدم إعلان أسعار
تاريخ الحكم: 2020/6/25
المواد المحكوم بها: 120 من قانون حماية المستهلك
خلاصة الحكم الصادر بتاريخ 2020/6/25 والقاضي بتغريم المدعى عليه داني علي غندور بغرامة قدرها خمسمئة ألف ل.ل. وتدريكه نفقات المحاكمة كافة.
بيروت في 2 تموز 2020
ليس حاطوم

اعلان

إنذار صادر عن دائرة تنفيذ بعبدا
موجه إلى المنفذ عليه: منير مبارك المجهول محل الإقامة
تنذركم هذه الدائرة سنداً للمادة 408 و409 محاكمات مدنية بالحضور إليها لتسلم الانذار بدفع مبلغ /5648/ $ برقم معاملة 2019/1770 المتكونة بينك وبين محمد علام ووداد الحشاش بخلال 25 يوماً من تاريخ النشر واتخاذ محل اقامة مختار ضمن نطاق الدائرة والا عُد قلمها مقاماً مختاراً تتبلغون بواسطته كل الأوراق الموجهة اليكم في المعاملة المذكورة.
رئيس القلم
انطوان الحلو

الأخبار
al-akhbar
السبت 4 تموز 2020 العدد 4091

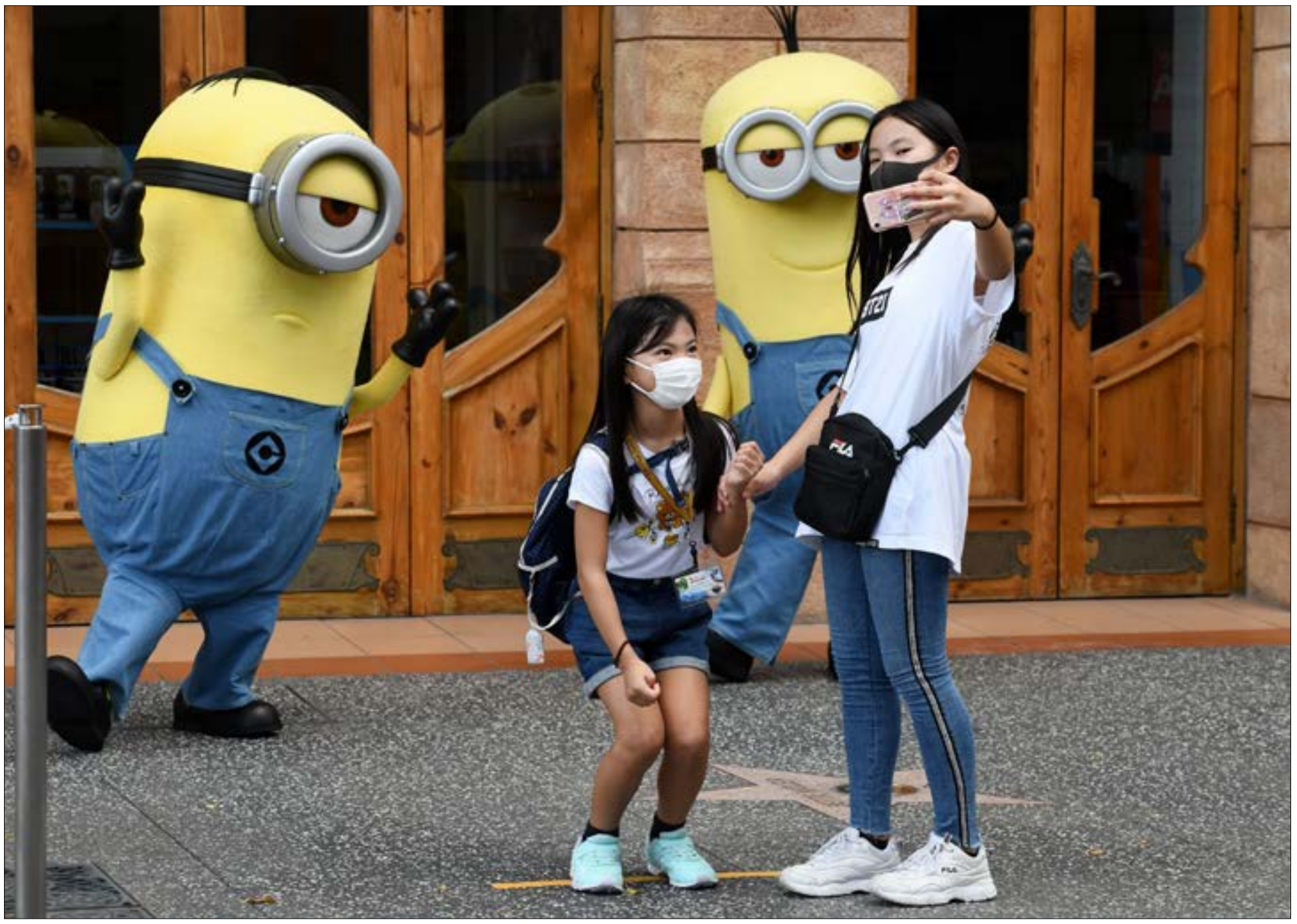

صورة وخبر

بعد أشهر من الإغلاق بسبب فيروس كورونا، عادت مدينة الملاهي التابعة لاستديوات «يونيفرسال» في سينغافورة لاستقبال الزوّار في منتجع «سينتوسا»، الواقع على جزيرة قبالة الساحل الجنوبي للبلاد. صحيح أنّ هذا الفضاء الترفيهي عاد إلى العمل مع توخّي كل التدابير الاحترازية للوقاية من العدوى، غير أنّ نسبة إشغاله لا تتعدى حالياً الـ 25 في المئة في ظلّ الخوف من موجة ثانية من الوباء. (رسلان رحمن ــ أف ب)

مي المصري: بين الوثائقي والروائي

ضمن مبادرة «طلّات سينمائية» التي أطلقتها «الهيئة الملكية الأردنية للأفلام»، تتحدّث المخرجة مي المصري (1959 ـ الصورة)، بعد غدٍ الاثنين، عن «العمل في الفيلم الوثائقي والروائي: أوجه الشبه والاختلاف». النشاط الإلكتروني الذي يبث مباشرة عبر تطبيق «زوم»، يستمر على مدى ساعة كاملة، كما سيتمكّن الراغبون من مشاهدته عبر بثّ مباشر عبر صفحة الهيئة الرسمية على فايسبوك. علماً بأنّ «طلّات سينمائية» يرمي إلى ربط صنّاع الأفلام والمهتمين بها بمحترفين.

«طلّات سينمائية» مع مي المصري: الاثنين 6 تموز (يوليو) الحالي ـ الساعة الثامنة مساءً بتوقيت بيروت ـ عبر تطبيق «زوم» وصفحة «الهيئة الملكية الأردنية للأفلام» الرسمية على فايسبوك.

وقفة في شتورة: صبر وصمود وانتصار

«لن نجوع ولن نستسلم... سوف نصبر ونصمد وننتصر». تحت هذا الشعار، تدعو «حركة النهضة القومية»، غداً الأحد، إلى وقفة احتجاجية للتعبير عن رفض «قانون قيصر» و«صفقة القرن» و«إفقارنا وتجويعنا» في ظل الظروف المتردية التي تعيشها البلاد على المستويات كافة. التحرّك الذي ينظَّم بالاشتراك مع «تجمّع المزارعين في البقاع» و«الاتحاد الوطني للفلاحين اللبنانيين» و«نقابة أصحاب الشاحنات المبرّدة»، سيجري في ساحة شتورة، فيما يؤكد القائمون عليه في نص الدعوة أنّه عبارة عن وقفة «من أجلنا جميعاً ومن أجل الوطن».

وقفة احتجاجية: غداً الأحد ـ الساعة الحادية عشرة صباحاً ـ ساحة شتورة (محيط مركز «الجمارك اللبنانية» ـ قضاء زحلة).

ماغي في «بيت» زاهي... إعترافات إعلامية مخضرمة

مساء اليوم السبت، تحلّ الإعلامية اللبنانية ماغي فرح ضيفة على برنامج «بيت القصيد» الذي يقدّمه الإعلامي والشاعر اللبناني زاهي وهبي عبر قناة «الميادين» منذ تسع سنوات، استضاف خلالها حوالى 400 ضيف من مختلف الدول العربية والمجالات الإبداعية. في السنوات الماضية، تركّزت إطلالات فرح على الأبراج والتوقعات، لكن اللقاء المرتقب سيسلّط الضوء على تجربتها الإعلامية الطويلة التي تنقلت فيها بين شاشات mtv و lbci و otv و«المستقبل»، فضلاً عن محطتها الإذاعية في إذاعة «صوت لبنان» حيث كانت أوّل امرأة تتولى رئاسة قسم الأخبار.

من كواليس الحلقة

الحديث سيتطرّق أيضاً إلى كورونا والانتفاضة الشعبية في الشارع اللبناني في 17 تشرين (أكتوبر) 2019، إلى جانب رأيها وموقفها من المقاومة والصراع العربي الإسرائيلي وداعش. وفي الحلقة أيضاً أسئلة عن رأي ماغي فرح في الواقع الإعلامي اللبناني والعربي، واحتمال عودتها إلى التقديم، وإمكانية خوضها غمار السياسة. هذا ما يؤكده وهبي في اتصال مع «الأخبار»، مشيراً إلى أنّ البرنامج يتعمّد حالياً تسليط الضوء كذلك على المبدعين الشباب.

«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً على «الميادين»

زياد نجيم حديث عن الانهيار

ضمن برنامج The Kassem Doghman Show الذي يقدّمه مباشرة عبر فايسبوك ويوتيوب وLinkedin، يستضيف قاسم دغمان، بعد غدٍ الاثنين، زياد نجيم (الصورة)، تحت عنوان «لبنان في وجه العاصفة». مباشرة من مكان وجوده في الولايات المتحدة، يقدّم الإعلامي والأكاديمي اللبناني قراءته للمشهد السياسي والاقتصادي في بلده الأم في ظلّ الانهيار الحاصل، معرّجاً في الوقت نفسه على أبرز أحداث العالم ومنطقة الشرق الأوسط وتأثيراتها على الساحة الداخلية.

لقاء مع زياد نجيم ضمن The Kassem Doghman Show: الاثنين 6 تموز (يوليو) الحالي ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً بتوقيت بيروت ـ مباشرة عبر فايسبوك ويوتيوب وLinkedin.

الأخبار al-akhbar

السبت 4 تموز 2020
العدد 4091 السنة الرابعة عشرة
Samedi 4 Juillet 2020 no 4091 14ème année

كلمات

ملحق أسبوعي

www.al-akhbar.com

إيزابيل الليندي
ياله من كوكب مريض

خليل صويلح

لا تكتفي إيزابيل الليندي (1942) باستعارة عنوان روايتها «بتلة طويلة من البحر» (صدرت ترجمتها العربية اخيراً عن «دار الآداب» بعنوان «سفينة نيرودا» ـ ترجمة صالح علماني) من مطلع قصيدة لبابلو نيرودا، إنما تزجّ باسم مواطنها الشاعر التشيلي في متن الرواية، بوصفه منقذاً لنحو ألفي نازح إسباني من جحيم فاشية الجنرال فرانكو، عندما استأجر نيرودا سفينة إنقاذ أبحرت إلى تشيلي قبل دمار برشلونة بقليل. سنتعرّف إلى طبيب متدرّب وعازفة بيانو أرملة تضطر للزواج منه بعد وفاة شقيقه لإنقاذ طفلها من أوجاع الحرب الأهلية الإسبانية ونكبة اشتعال شرارة الحرب العالمية الثانية، في قوسٍ مفتوح على تحوّلات نصف قرن من الكوارث. بانقلاب الجنرال بيونشيه في تشيلي، يضطر هؤلاء إلى النزوح نحو فنزويلا في محنة لجوء جديدة. هكذا ترصد صاحبة «بيت الأرواح» عنف الحرب ومعسكرات الاعتقال وأحوال اليأس، جنباً إلى جنب مع قصة حبّ تنمو وسط عواصف الخوف واختبار العاطفة والمشاعر الذاتية ونوبات الحزن والعزلة في مواجهة عالم يتهاوى: «إلى أيّ مدى يوقظ الحب المشاعر التي تجعلنا بشراً حتى عندما تعمل الحرب على تدميرها؟» تتساءل بألم. يتّجه السرد هنا نحو الواقعية الفجّة بلا زخرفة أو أوهام، نظراً إلى ثقل المآسي التي عاشها هؤلاء اللاجئون بدرجات متفاوتة والتي ستنتهي بسقوط حكم بينوشيه في تشيلي. شخصيات قلقة فوق حبل رفيع يتأرجح بين الموت والضياع والخوف والاختفاء القسري. يتساءل الطبيب المتدرّب فيكتور في لحظة يأس: «من أنا، إذا لم يكن لديّ منزل؟»، فيما سيضطر نيرودا الذي بات مطارداً من الديكتاتور أثناء ملاحقة الشيوعيين للاختباء في بيت فيكتور وزوجته روسر. كوكب مريض غارق بالحروب والحقد والخراب، والصراع بين الحرية والقمع، تفكّكه إيزابيل الليندي بحميمية ورهافة وجمال، بالتقاط اللحظات الهاربة من أتون النار: «الحياة هي كيف نقولها، فلماذا ندوّن الأمور التافهة؟» تقول. عدا الجرعة التخييلية المبطّنة بالرقة والشغف العاطفي، واختراع الأمل، تتكئ الرواية إلى وقائع تاريخية وسير شخصية لمنكوبي اللجوء في حالتَي النفي والنفي المضاد، خصوصاً أنها عاشت تجربة النفي السياسي بنفسها. وكأن الكوكب على موعد مع النكبات، من قرن إلى آخر. لكن ما تأثير العزلة التي تعيشها إيزابيل الليندي بسبب الوباء الذي اجتاح العالم؟ تجيب في حوارٍ معها: «أنهيتُ كتاباً عن النسوية بعنوان «ما تريده النساء» سوف يصدر في تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل. أمّا بخصوص تأثير الوباء على العالم الذي بات بلا جدران، فأتوقع نهاية النظام الأبوي لمصلحة عالم يتشارك فيه الرجال والنساء بالتساوي في إدارة الكوكب». وتضيف: «سوف يرث الشباب عالماً مزّقناه بوحشيّة. هم الذين يجب أن ينقذوا الكوكب، إذا كان بالإمكان إنقاذه. آمل أن يكون لديهم حلّ إيجابي باستبدال العنف والجشع بالتضامن والرحمة والأمل. هذا هو العالم الذي نريده، عالم يحترم الطبيعة، والأنواع الأخرى».

ثقافة العالم

120 عاماً على ولادة مؤلف «الأمير الصغير»

أنطوان دو سانت إيكزوبيري... «إيكاروس» بجناحين من ورق

أحلام الطاهر

كان يا مكان في قديم الزمان أميرٌ يسكن مع زهرة حمراء على كوكب بالكاد يكبره حجماً، وكان بحاجة إلى صديق. جميعنا التقينا «الأمير الصغير» المقيم في وحدته هناك، ورُوِيَت لنا حكايته، ولا سيما حكاية حبه زهرة كان يعتقدها فريدة في الكون، وتنقّله بين الكواكب والعوالم، وصداقته مع ذلك الثعلب الذي يطلب منه أن يروّضه كي يصبح الاثنان فريدين في عالم متشابه. من التيفيناغ إلى طريقة بريل للمكفوفين، ومن الحسانية إلى البشتو تُرجم الكتاب إلى أكثر من 300 لغة ولهجة محلية. لكن الشهادات التي نقرؤها عن مؤلفه أنطوان دو سانت إكزوبيري (1900 ــ 1944) على وفرتها لن تستحيل «إنجيلاً» فعتمداً يقدم صورة كاملة عنه، فهو أولاً مؤلف شخصية أسطورية ساذجة أذهلت أجيالاً من القراء. وأيضاً مخترعٌ مولعٌ بالفيزياء والرياضيات، في رصيده أكثر من 11 شهادة براءة اختراع في تطوير محركات الطائرات، بالإضافة إلى كونه موظفاً من أوائل الذين يعطّلون الملفات وطيّاراً جعل من مهنته حيزاً للمعادلة الروائية، موظّفاً إياها جسرَ عبور إلى خمسة كتب، ليبدو الطيران والكتابة نسيجاً مشدوداً كضفيرتيّ «دي إن إيه» معقودتين ببعضهما.

ظل اختفاء أنطوان دو سانت إكزوبيري على متن طائرة «لوكهيد بي-38 لايتنغ» التي أقلعت في مهمة استطلاعية فوق المتوسط لغزاً، إلى أن عُثر على سلسلة يده بالقرب من مرسيليا كان اسم زوجته محفوراً عليها. وفي عام 2003، تم العثور على أجزاء من الطائرة. ولأن قيادة قوات الحلفاء كانت قد أكدت أن المنطقة لم تشهد، في الحقيقة، أي معركة جوية، فقد اعتُبر مفقوداً حتى نشر أحدهم مذكرات تبدأ بـ «يمكنكم التوقف عن البحث. أنا من أطلق النار على سانت إكزوبيري» وهو هورست ريبرت طيار في سلاح الجو الألماني، لم يغفر لنفسه قتل كاتبه المفضل في 31 تموز (يوليو) 1944.

عزى البعض الاهتمام الاستثنائي بسانت إكزوبيري لكونه طياراً وحسب. جان فرنسوا رافيل على سبيل المثال اتّهمه في منشور احتجاجي باستبدال الدماغ البشري بمحرّك طائرة قائلاً: «صار نبياً رغم أن معجزته الوحيدة أنه كشف للفرنسيين بأن الغباء يصبح حقيقة فلسفية عميقة إذا ما رفعناه عن الأرض مسافة سبعة آلاف قدم». ولم يتوانَ في وصف مؤلفاته بـ «الاستغباء من قمرة القيادة». ولنا أن نتساءل أيضاً من كان سانت إكزوبيري حقاً؟ كاتب أصيل أم قيمة أدبية زائفة؟ وتبقى أفضل طريقة لمعرفة ذلك الغوص في حياة وأدب مؤلف أشهر كتاب فرنسي وُضع للأطفال في القرن العشرين والأعلى مبيعاً بعد الكتاب المقدس.

الطفولة: الحديقة الذهبية

حكاية أنطوان دو سانت إكزوبيري هي حكاية طفل يلهو بجنود بلاستيكيين، ولد في فرنسا تهدهدها أوهام العظمة وسيَر ملحمية لقادة عظام تُروى بطولاتهم للأجيال اللاحقة بلغة تشبه الصوت الكورالي الذي يتغنى بالمبادئ والنظام وانتصار الفردانية في المعارك الفعلية. وتمت تنحية الحرب جانباً حين فُسِّرت بوصفها نظاماً من الرموز والاستعارات والمجازات، لكن هذا التضليل الذي أحدثته في العقول والقلوب المغامرات والمآثر الإنسانية الفائقة للجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى -في معركة أراس على سبيل المثال- ستزول إلى الأبد بعد هزيمة 1940. لكن ليس قبل أن تطبع بعمق جيلاً بأكمله بين الحربين العالميتين. جيل ينتمي إليه سانت إكزوبيري ويعتبر النصر في ساحات الحرب علامة التفوق الروحي والأخلاقي.

أنطوان هو الابن الذي طال انتظاره لجان وماري دو سانت إكزوبيري، ولد في ليون في 29 حزيران (يونيو) 1900. رغم وفاة والده بسكتة دماغية في محطة قطار قبل عيد ميلاده الرابع، إلّا أن الحنين إلى سنواته الأولى سيطارده بقية حياته: «لستُ متأكداً من أنني عشت منذ الطفولة»، أو «يا له من منفى مضحك أن يتم نفيك خارج الطفولة». كما لو أن حياة مؤلف «الأمير الصغير» كانت فقط مواجهة طويلة ومؤلمة بين الطفل الذي كانه والرجل الذي عليه أن يكون: «لماذا هذه الرغبة في مواجهة الرجل بشبح طفل ضعيف؟».

سرعان ما سيحل محل الأب المفقود أب آخر مثالي تظهر ملامحه جلية في رواية «القلعة» التي لم تكتمل وتُنشر بعد رحيله. يتراءى فيها أمير الصحراء. هذا الأب الخيالي وهو يلقن ابنه الحكمة والقيادة: «إذا أردتُ، أستطيع إنشاء حضارة متقدة بالحماس، كتائبها مفعمة بالبهجة وتنبعث الضحكات الصافية من العمّال العائدين في نهاية النهار. حب الحياة فيها شديد، والأمل قوي في معجزات يأتي بها الغد. وقصائد يُسمع فيها للنجوم صدى».

لطالما كان سانت إكزوبيري طالباً مشتت الذهن، يعاني من الاستيقاظ في السادسة صباحاً ومن دروس النحو، لكنه كان يعود خلال العطل إلى سان موريس، مملكته المشتهاة التي يسودها قانون واحد: اللعب، وأحياناً الاختراعات الخطيرة، مثل اختراع دراجة هوائية طائرة، بالإضافة إلى استغراقه في دروس الغناء وكتابة المسرحيات والتعرف إلى أنواع الأعشاب والزهور. يقول: «اتذكر ألعاب طفولتي، الحديقة المظلمة والذهبية الماهولة بالآلهة، المملكة التي لا حدود لها التي خلقناها من كيلومتر مربع، لم نستطع أبداً أن نكتشفه أو نسبر أغواره بالكامل». وقد وثقت شقيقته سيمون ـ التي كانت مثله شغوفة بالكتابة ـ هذه الذكريات في كتاب بعنوان «خمسة أطفال في حديقة».

طيران ليلي

كان سانت إكزوبيري متذبذباً في خياراته، انحاز في البداية إلى مدرسة الفنون الجميلة التي التحق بها كمستمع لدراسة الهندسة المعمارية. وحين بدأ خدمته العسكرية، أخذ دروساً خاصة في الطيران ليُفرض عليه في العام التالي التحول إلى القوات الجوية الفرنسية ويتم تعيينه طياراً في الفوج 37 المقاتل في الدار البيضاء. ستتراءى له البيئة الجديدة كحلم ظل يستحضره طازجاً في كل كتاباته. رغم الحرارة والجفاف والملل بدا مذهولاً بمشاهد الصحراء «أرى من المساء رجالاً عجائز رائعين ونساء صغيرات كالنقط، تبرز هاماتهم باللون الأسود من الغيوم الحمراء وتتحلل ببطء حتى تتوارى خلف الجدران». لكن بعد عودته إلى أجواء باريس المليدة بشعور باللاواقعية، أذعن إلى اعتراضات عائلة خطيبته، الروائية المستقبلية لويز دو فيلموران، وترك مهنة الطيران «الخطرة» ليتولى وظيفة محاسب، حيث كان يتحلل من الضجر في ساعات الدوام: «أثناء في مكتب مترين في مترين وأشاهد سقوط المطر في الفناء الذي تطل عليه نافذتي، بينما أقوم بعمليات جمع

في بانيو الشقة 220 في سنترال بارك ساوث، يقوم سانت إكس كما يسمّيه المقربون بتجارب علمية بالألعاب للتفكير في عمليات الإنزال. يتخيل الأمواج والتيارات والغواصات ويصنع طائرات ورقية يجمعها في سلال كبيرة ثم يرميها الواحدة تلو الأخرى في سنترال بارك مثل طفل كبير بائس، نصف أمير نصف ليوناردو دا فينشي، آلاته ونصوصه تحلم بالحرية، لكنها تصطدم بحرية الرجل الديمقراطي الأميركي التي لا تتعدى «شراء جريدته الصباحية لاستيعاب هذا الفكر الجاهز والاختيار بين ثلاثة آراء لأنهم اقترحوا عليه ثلاثة آراء». وعلى الرغم من نجاح «طيار حربي»، إلا أن حالة سانت إكزوبيري الصحية تدهورت جراء معاناته من عواقب حادث قديم وانتهى به المطاف في المستشفى في لوس أنجلس حيث اكتشف حكاية حورية البحر الصغيرة لأندرسن، وحفزه ذلك على كتابة حكايته مستعيناً بعلبة من الألوان المائية أهداه إياها صديقه المستكشف بول إيميل فيكتور، ليولد الأمير الصغير بقامته الطلّية وشعره الجعد الأشقر على ورق يسمّى Onion skin paper لأنه في منتهى الرقة.

تقول الأسطورة إن يوجين رينال الناشر الأميركي، رأى ذات يوم «الأمير الصغير» مرسوماً على زاوية من زوايا ورق الطاولة في مطعم «أرنولد» في نيويورك. وحين سأل «من هذا»، أجاب سانت إكزوبيري: «لا أعلم، ولكنّ هذا الفتى الصغير ذو الوشاح يطارد خيالي منذ سنوات». في السادس من نيسان (أبريل) 1943، صدر كتاب «الأمير الصغير» عن دار «رينال أند هيتشكوك» الأميركية، بعد مرور أكثر من ستة أشهر على اقتراح رينال بأن يُحرر أنطوان وطرح». وسيتحرر في النهاية من هذا القفص منفصلاً عن خطيبته ويلتحق بشركة «لاتيكوير» كطيار عام 1926 وينشر في العام نفسه أول قصة قصيرة له.

استتبع سانت إكزوبيري اشتغاله على اللغة التي تنقل تجربته كمدير ترانزيت الخطوط الجوية لمطار كيب جوبي في المنطقة الإسبانية جنوب المغرب، في الصحراء الكبرى، حيث شملت واجباته التفاوض بشأن الإفراج الآمن عن الطيارين المفقودين الذين أخذوا كرهائن من قبل قبائل الصحراء الكبرى، وهي مهمة محفوفة بالمخاطر أكسبته وسام الشرف من الحكومة الفرنسية. وسُيعيَّن في عام 1929 مديراً لفرع للشركة العامة للبريد الجوي في الأرجنتين، يتفقد الطرق الجوية الجديدة عبر أميركا الجنوبية ويشارك في بعثات البحث عن الطيارين المفقودين.

هذه الطرق الجوية المحفوفة بالمفاجآت وفّرت المادة الخام لروايته «بريد الجنوب» (1928) التي ولدت من تأملاته في عزلة طرفاية في الصحراء المغربية تلتها رواية ثانية «طيران ليلي»، كتب مقدمتها أندريه جيد وفازت بجائزة «فيمينا»، لكن مشاهدها تمجّد روح الفتوة والولاء للقائد البطل، وتضعنا أمام شخصية ريفيير القائد المغامر بحياة الطيّارين لإحراز انتصاراته في ساحة صراع تجاري شرس. وللعبارات التي يرددها القائد في صيغة حكَم، من قبيل «ليست سعادة الإنسان في الحرية إنما في تقبّل واجب ينهض به» و«أحبّ من تقودهم ولكن من دون أن تخبرهم بذلك» أن تُقرأ اليوم كمديح للنظام الشمولي وقد ساهمت آنذاك في تشويه صورة سانت إكزوبيري بين مثقفي عصره رغم أنه نقل ما عايشه في عوالم شركات الملاحة الجوية وسباق السرعة مع وسائل النقل الأخرى.

السقوط الأول

مثل فابيان الذي يصارع عواصف الثلج والضباب في «طيران ليلي»، وافق سانت إكزوبيري على المشاركة في رحلة باريس - سايغون على أن يصل بين المدينتين في أقل من خمسة أيام وأربع ساعات وكانت وزارة الطيران آنذاك تختبر قدرة طائرات النقل على التحمل وتعطي مكافآت للطيارين الأكثر جرأة. لكن طائرته ستصطدم بهضبة وتسقط في الصحراء. يقول «الصحراء؟ لقد أتيحت لي الفرصة لاقترب منها يوماً ما، لأحفظ خطوطها عن ظهر قلب [...] وجدت نفسي في مصر، على حدود ليبيا، عالقاً في الرمال كما في الصمغ واعتقدت أنني سأموت». انتشله البدو بعد ثلاثة أيام من التجوال اليائس، وكان يشارف على الهلاك من العطش، حينها قال عبارته الشهيرة: «الغرق في وسط المحيط أهون من الغرق في هذه الصحراء». وبعد شهر قضاه في القاهرة، عاد إلى فرنسا ليكتب مغامراته في سلسلة من المقالات لصحيفة L›Intransigeant ويُدرجها لاحقاً في فصل من «أرض البشر» (1939). الحساسية الأدبية هنا مستقاة أساساً من التوثيق، ولا دور للمخيلة في صناعتها، بل للأمر الواقع، وهذا ما يميزها، وبذلك سيتم إرساله لتغطية الحرب في إسبانيا حيث سيكتب المانشيت المدوي: «هذه الحرب ليست سوى بروفة لصراع على وشك أن يندلع في فرنسا».

سلّة السرطانات

تصدّق النبوءة لتغدو الحرب ظرفاً حياتياً يضطر سانت إكزوبيري أن يختبره ويرى رفاقه يسقطون ويختفون ويقتلون في 1940. كابد «الطين والمطر والأم الروماتيزم في المزارع والأمسيات الخاوية والشك والخوف على علو عشرة آلاف متر» لكن الأسوأ قد حدث، فقد سقطت فرنسا بيد ألمانيا النازية وأعلن المارشال فيليب بيتان الحكومة الفيشية موقّعاً اتفاقية الهدنة التي تقسم البلاد لمنطقتين، الأولى خاضعة للسلطة العسكرية الألمانية المباشرة والمنطقة الثانية تبقى تحت السيادة «الشكلية» الفرنسية. وانضم بيار لافال للحكومة ليصبح فيها المهندس الرئيسي للنظام الفيشي، التقاه سانت إكزوبيري حين ذهب للحصول على تأشيرته الأميركية وأشار إليه بصوت عالٍ «ها هو الرجل الذي باع فرنسا!». وحين تأكد من أنه سمعه، أضاف مخاطباً رفاقه: «حسناً الآن وقد قلتُ ما يكفي ليطلقوا عليّ النار صباح الغد، ما رأيكم أن نذهب في نزهة؟».

على مدى ستة أشهر، فشلت كل محاولات صاحب «رسالة إلى رهينة» (1943) في توحيد أبناء بلده الذين بدوا خانعين للاحتلال راضين بمصيرهم في بلد أصبح شبيهاً بخلية واحدة تنقسم إلى نصفين يحدق واحد منهما فقط بالآخر ويتمحص فيه كغريب. فقرر الرحيل إلى الولايات المتحدة لتغيير الرأي العام الأميركي من الموقف الانعزالي إلى دعم المشاركة المباشرة في الحرب، ولبى دعوة ناشره كبرتيس هيتشكوك للبقاء بضعة أسابيع للمشاركة في ندوات قبل العودة إلى شمال أفريقيا للقتال. لكن منفاه سيدوم أكثر من عامين، ليجد نفسه في مجتمع فرنسي وصفه بـ«سلة السرطانات» مزقته المشاحنات الحزبية ويجر عليه موقفه «اللاسياسي» عداوات في كل من المعسكر الديغولي وجماعة فيشي.

«لا شك أنني أحلم»

الشقة التي أقام فيها أنطوان دو سانت إكزوبيري تقع في الطابق الثالث والعشرين من مبنى يطل على سنترال بارك. زوجته كونسويلو «المرأة البركانية» من السلفادور، ستصرّ على أن تنضمّ إليه بعد ذلك بعام وتسكن شقة أخرى على بعد بضعة طوابق. بعيش كل واحد منهما مغامراته العاطفية على حدة ويلتقيان في المشاجرات وحفلات العشاء قبل أن يعودا للسكن معاً من جديد في لونغ آيلاند في بيت مترامي الأطراف ثم في مانهاتن على امتداد إيست ريفر. يُقال إنها كانت ترميه بصحون فناجين الشاي وهو يتفاداها الواحد تلو الآخر بينما يواصل التحدث إلى ضيوفه. كان يبلغ أربعين عاماً آنذاك، يوقظ أصدقاءه في ساعات غير معقولة ليقرأ لهم آخر ما كتب ويحلم بالعودة إلى القتال قبل قضاء بقية أيامه في دير للرهبان. كان يعاني من الأرق والاكتئاب رغم أنه كان يتمتع بشهرة مطلقة في أميركا، فقد باعت «أرض البشر» 250 ألف نسخة وحازت مع «عناقيد الغضب» لجون شتاينبك «جائزة الكتاب الوطني للولايات المتحدة». كتاب «الطيار الحربي» استهله بجملة بسيطة على طريقة كامو: «لا شك أنني أحلم» ليسجّل موقفاً إنسانياً رؤيوياً شاملاً، كما هي الحال في بعض الأعمال الروائية التي يسقط أصحابها في بئر التنظير. قرأه روجيه مارتين دو غار في نيس عام 1943 ولخص انطباعاته قائلاً: «إن سانت إكزوبيري مُلهم طالما يكتفي بالحديث عن مهنته كطيار، ولكن حين يخوض في الأخلاقيات ويريد أن يستخلص من تجربته الشخصية عقيدة وأسلوب حياة يصبح لا يطاق. الكتاب طموح جداً لكن النهاية مخيبة للآمال».

وقد كان من المقرر أن يصدر الكتاب في 1942 في أميركا، لكن الكاتب استمر في الحذف والإضافة، ولم يسلّم المخطوط إلا في العام التالي. وفي هذه الأثناء، كانت اليابان قد نفذت غارة جوية مباغتة على بيرل هاربر أرغمت الولايات المتحدة على دخول الحرب. وها قد حان أخيراً وقت الطيار كي يقنع الرأي العام الأميركي أنّ الفرنسيين ليسوا جبناء ومتعاونين مع النازية. ولذلك، كان تأثير الرواية فورياً لأنها تحرّض على الصراع من أجل قتل الخوف وإثبات الذات، تواطأ معها القارئ الأميركي وبيعت حوالى 150 ألف نسخة. أما في فرنسا، فقد سمح الرقيب الألماني جيرهارد هيلر بنشره بعد محو جملة واحدة «هتلر الذي بدأ هذه الحرب الوحشية»، لكن الأصوات المنددة سترتفع من معسكر فيشي لأن المؤلف يحتفي بشجاعة رفيق سلاح يهودي. أما المعسكر الديغولي هو الآخر، فسيكشر عن أنيابه لأنه لا يحب كثيراً لعبة الغميضة التي تعتمد إرسال القارئ إلى غياهب النفس البشرية، لتفكيكها وترويضها، خاصة أن النهاية جاءت غامضة: «غداً سنلتزم الصمت أيضاً» يكتب سانت إكزوبيري «غداً أمام الشهود سنكون المهزومين، وعلى المهزومين أن يصمتوا مثل البذور»، كلمة بذور هنا تدل على أن شيئاً ما يُدبّر في الخفاء، شيئاً ما سيزهر أخيراً في هذا الخراب لكن التشبيه هش للغاية ودقيق للغاية كي لا يسحقه حذاء عصر لا تُقبل فيه أنصاف المواقف.

في هذه الأثناء على الكوكب ب 612، كان الأمير الصغير يعرف جيداً أن «الشيء المهم لا تبصره العين»، وكان يراقب يومياً الشمس وهي تغرب أربعاً وأربعين مرة في انتظار أن تنمو زهرته الفريدة بأربع أشواك تحتمي بها من العالم.

الأمير الصغير

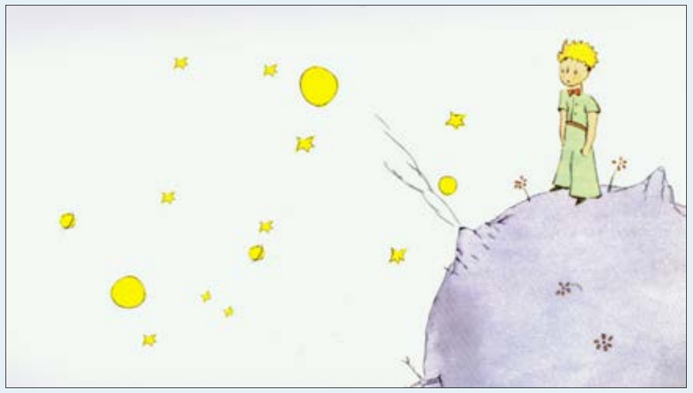

الصبي الذي يرسمه بجعلهِ بطلاً لقصةٍ للأطفال تُعرض في واجهات المكتبات في أعياد الميلاد. يبدأ كتاب «الأمير الصغير» من الحلم والطبيعة وتلقائية العواطف بوصفها عناصر للمقاومة وتشييد عالم ممكن، ويروي اللقاء، بين طيار تعطلت طائرته في الصحراء، يوقظه صبي صغير هامساً «من فضلك ارسم لي خروفاً»، ليتبين أنه أتى من الكوكب ب-612، الذي تركه لكثرة متاعبه مع أهم ما يملك، وهي زهرته الفريدة، عندما لم يكن مستعداً لها، «فهو صغيرٌ ولا يعرف كيف يحب الأزهار بعد». يبدو لنا الكتاب أمثولةً فكرية متكاملة، نصاً فلسفياً يدنو من «روبنسون كروزو»، وبالتالي من «حيّ بن يقظان» أكثر من دنوه من أي كتاب آخر، خاصة حين نتأمل سخرية الكاتب من عالم البشر عبر أفكار ورحلات الأمير بين الكواكب؛ من الملك الذي يظن أن كل الناس رعاياه وعبيده، وحتى النجوم عليها واجب الطاعة، والرجل المغرور الذي لا يسمع سوى الإطراء ويردد على الدوام «قدم لي خدمة، حاول أن تُعجب بي»، ومدمن الخمر الذي يشرب لينسى خجله من شربه للخمر ورجل الأعمال المُنهمِك في عدّ نجوم السماء، التي يظنها في حيازته ومن حقه. المناخ ومفردات القصة تحيلنا إلى حياة المؤلف الشخصية؛ فالثعلب كان قد رآه أثناء طيرانه ذات يوم في الصحراء الموريتانية، وأشجار الباوباب الضخمة لمحها من سماء السنغال، أما الوردة، فتشير دلائل كثيرة إلى أنها ليست سوى زوجته كونسويلو التي يخاطبها قائلاً: «ما كان عليّ أبداً أن أهرب، كان عليّ أن أدرك الحنان الكامن خلف حِيَلها. إن الزهور تناقش نفسها دائماً، لكنني كنت أصغر من أن أعرف كيف أحبها».

> يبدأ «الأمير الصغير» من الحلم والطبيعة وتلقائية العواطف بوصفها عناصر للمقاومة وتشييد عالم ممكن

شعر

خمس قصائد

نجيب مبارك*

1. تذكّر اسمك الشخصي

حين ينساك الجميع، تذكّر اسمكَ الشخصي. تذكّر كلّ حرفٍ من حروفه الصّامتة. تخيّل أنّه وليدٌ هشّ بحجم كفّ صغيرة، جاء إلى العالم في توقيتٍ خاطئ، ثمّ أسلم الرّوح بعد الولادة بقليل. تذكّر أنّ له مقابلاً شبهَ مطلق في الكفّة الثّانية من الميزان. فكّ شيفرته وصفّق مثل مَن عثر أخيراً على تميمة. سيكشفُ لك وجهاً آخر، أصفى من حلم يقظة، وبسيطاً كجُرح صغير. مع كلّ حرفٍ، سيخرجُ بعضُ الهواء الخفيف ولن يعود. مع كلّ حركة، ستصعدُ غيمةٌ حزينة إلى السماء وتُهشّم وجهها على المرآة. وحدها شرارةُ أنفاسك الأمعة ستبقى متلألئةً طوال اللّيل، مثل صليب أخضر معلّق في نهاية الشارع. تذكّر ذلك أيضاً، حتى لو نسيتَ جميع أسمائك الماضية، جميع أسمائك المقبلة، ثمّ انفُخ بهدوءٍ على زُكامها الأخفّ من حبّة غبار. تأمّل رقصتها الأخيرة وهي تغادر العالم. لتحلّق بعيداً وتنجو من كلّ هذا الخراب.

2. كلام عن البحر

كلامٌ عن البحر. أردّدهُ مع نفسي وأنا أتمشّى ليلاً، عاقداً يديّ خلف ظهري. لقد صرتُ لعبةً خُرّوفٍ بدائيّة، يتدحرجُ معها كلّ شيءٍ نحو لا شيء في هذا الجانب الميّت من المدينة. يهبُّ نسيمٌ بحريّ من طفولتي، خفيفاً ومعشّقاً، سرعان ما يبتلعه صخبُ الآلات السريّة. كلامٌ عن البحر. أردّده في صمتٍ، من دون أن أخطئ في نطق علامات المدّ والجزر. أصبُّ فيه كلّ ما لديّ دفعةً واحدة قبل فوات الأوان: حياتي وهي ترقدُ مرتعشةً على الرمال، مثل فاصلةٍ سوداء تحضن فاصلةً بيضاء، ومن عناقهما الكامل تصدحُ موسيقى أبديّة، وتهوي في عينِ الصّمت قطرةُ دواءٍ فاسدة.

3. صباح تراجيدي

وحدهُ هذا الصباح التراجيديّ أبقانا أحياءً حتّى الآن. رائحته في أيدينا تشبهُ خطوط الموت والحبّ المتقاطعة، لن يمحوها صابون مضادٌّ للجراثيم أو مُعقّمٌ كحوليّ مُركّز. لقد دخلنا مع الفتنة التي فُرض علينا التّعايش. لم نعد نبالي بخشخشة النّهر الكبير تحت سريرنا، ولا بالطوفان العظيم الذي يحاصر بيوتنا الخربة، ولا بانفجار وتبدُّد أجسامنا الواقعية، التي صارت تطوف من حولنا مثل ريش انفصل عن الروح. نزحفُ على البلاط ونتذوّق بالسنتنا الجافّة ملحَ هذه الأمواج التي تكسّرت طويلاً على الجدران، رغم أنّنا لم نتدرّب على طعمها الفجّ منذ الولادة. لم نعد نبحثُ عن ملاذاتٍ آمنة في مُنتصف الحياة. تكفينا هذه الأجسادُ النحيلة والضيّقة، المغروسةُ إلى الأعناق تحت أهرامات الرمل. تكفينا دموعٌ قليلة ومُضيئة كالخنافس في منتصفِ الليل.

4. الشاعر والحمار الوحشي

لا أحبُّ هذه الكلمة: «شاعر». تبدو مجرّد توليفة اعتباطية، أرعبةٌ حروفٍ جوفاء ومتنافرة، لا روح فيها ولا معنى. قد يبدو وضعُها مُريحاً بين حجرين أبيضين عاريين، مصبوغين بالحبر فقط، من دون شاهدةٍ يزاحم فيها الشّوك البرّيّ زهْراً وحشيّة. بل حتّى راحة القبر هذه لا تكفي. لا بدّ من نبش جثّة الشاعر مباشرةً بعد الدفن، واستبدالها بجثّة أخرى أكثر صلابةً وواقعية، على مقاس الأرض: حمارٌ وحشيّ مثلاً. كلاهما مُخطّطٌ بالأبيض والأسود، لا يرى الألوان بوضوح، وتعافُ لَحمَه المرّ جميعُ أنواع الخلائق: من الدناصير إلى فراخ الرُّوبوتات. لكنّه، رغم ضراوة الحياة العصريّة التي تسحقُه على مهل، وشُحّ الأمطار والوديان عاماً بعد عام، وانكماش الحقول والحدائق، وزحف الصحراء، واحتراق العشب في الغابات، ما يزال يسرحُ طليقاً في براري العالم، مَلِكاً صَليلياً يحلمُ باسترجاع تاجه المغتصَب.

5. رسالة محفونة في عروق النانو

حين يقتلُ الشّعر شاعراً، ترجع كلماتُه إلى السّماء، مثلما ترجع أوراق الخريف إلى كسوة الشجرة، في لقطةٍ فيديو بالمقلوب: نديّةً، خضراء، مطهّرة، ومغموسة برذاذ مطر مالح. بينما يتردّد في الطرف البعيد من البلدة نُباحُ مشؤوم، لن يعرف أحدٌ مصدره. لقد تلوّث الجسدُ بضجيج الأخبار المُعادة والمملّة حدّ الغثيان، وجفّت آخر رسالةٍ محفونة في عروق النانو، ولم تعد هناك حاجةٌ لرمي قبّعة في نهر أو تفصيل بذلةٍ سوداء تليقُ بحفلة نهاية العالم. كلّ هذا يحدث لأنّ لا علاقة له بالحظّ أو لعبةٍ من ألعاب القدر المجنونة: يخبو ضوءُ القمر بلا سبب، حتى وهو في طور الاكتمال، وأنتَ ما تزال جالساً في العتمة، ترفع عينيك إلى السماء لتشير إلى نجمةٍ دون أخرى. تشيرُ إلى صخرةٍ منسيّة وبعيدة خارج حساب المنجّمين، رغم يقينك من لا جدوى النّظر الطويل إلى جمرةٍ بائسة، لن يشعّ نورُها الخاطف إلّا لينطفئ في المهد.

* المغرب

جيوفاني شيارامونتي ـ من سلسلة «المحيط اللاتيني» (1997 ــ 2017)

شارع ممتلئ بالضجة

مي التونسي*

أنظر للرجل الذي أحب في هلع
وفمي تخرج منه شرائط ألوان.
أشعر بالاختناق أحياناً من تلك الشرائط وأحياناً بالضعف والإجراح وهو يشاهدني، أحياناً تخرج تلك الشرائط من فمي في نومي، ونستيقظ جميعاً نصرخ، وأحياناً أمسك بها وهي تخرج ثم أخبئها تحت وسادتي.

iii

إذا قلت إني أريد أن أنطلق، إذا أردت الاستسلام، أن أفرش أجنحتي على الهواء وأحلق...
إذا شعرت بتلك البساطة، بتلك السهولة... هل سأخذل العالم؟

iii

عشت في حزن وكوابيس بسبب أختي. انتظرتها تنظر إليّ وتمدّ يدها الطيبة لي وتعيد الزمن مثل شريط فيلم وتقف عند ذلك اليوم وتختار أن تحبني. انتظرت طويلاً حتى لم تأتِ وظلت تختار الآخرين مراراً وتكراراً. انتظرت وشاهدتها كثيراً في رأسي تركض إليّ حاملة حب أمي بين ذراعيها وهو ينسكب ثم تحممني به كما كانت تفعل وأنا رضيعة.

iii

الوحدة هي صديقي الأبدي. أما الخوف فهو الصديق البديل الذي ألجأ إليه عندما أريد الخروج للعالم. الخوف هو الصديق الصارخ وأول انطباع عني. الوحدة من صنعي. أنا وحيدة منذ طفولتي.

iii

تغيرت بعد الألم. تراجع نمو جسدي وحواسي أصبحت تختبر كلّ شيء للمرة الأولى، كالطفلة أصبح كل شيء مخيفاً، مثيراً نوعاً ما، ومؤلماً في المقام الأول. أتذكر اليوم الذي انفصلت فيه عن الرجل الذي أحببته سبعة أعوام وكأنني جنين يخرج من رحم أمه ليأخذ جرعة مفرطة من الخبرة. عندما استيقظت، كان أول نفس مؤلماً ومخيفاً، لم أفهم ماذا يحدث وأين أنا ولم أتذكر أين كنت قبل التقاط هذا النفس، فبكيت.

iii

أتذكر في طفولتي بعد فترات المرض كنت استيقظ يوماً وأنا أشعر بطاقتي ترجع وتضخ في كل جسدي، كأن شيئاً لم يكن. كنت أذهب إلى أمي بحبّ لأخبرها أني شفيت. كم تمنيت أن أشعر بتلك الطاقة ترجع لي بعد انفصالي عن الرجل الذي أحببت. بعد رحيله، لم أستطع الصبر على مهاتفة أمي أو الاستيقاظ لأخبرها أنني شفيت وأن قلبي تعافى. أين ذلك اليوم الذي يصبح كل ذلك فيه ماضياً، كأن شيئاً لم يكن. كأننا لم نلتق، لم أمسك بيده، لم أنتظره، لم أستيقظ لأخطط للمستقبل، لم أحبه، أين كان القدر عندما التقينا، لماذا لم يدفعني لأنظر في الاتجاه الآخر؟

iii

لطالما جذبتني فكرة الألوان. كيف نرى الألوان وكيف نرتبط بها، كيف تتغير مع التجارب وكيف تتسابق مع بعضها في أذهاننا. كنت أعشق اللون الأحمر في طفولتي، الآن أكرهه، أعتقد أنه رخيص... اللون الأبيض هو لون الحب، ليس الأحمر. خزانتي ممتلئة بالثياب السوداء بالرغم من تجنّبي كلّ ما يدعو الموت إلى بيتي.

iii

يصرخ الأطفال ليعرف العالم أنهم نجوا في الليل ليروا الصباح مرة أخرى. كم أردت أن أسمع هذا الصباح معك ونحن راكضون لنطمئن من يرتجفون لنا صارخين للاحتواء. أردت ضم تلك الكائنات الهزيلة والتشبث بها معك. نوع آخر من الحياة كاد أن ينقذنا، لكننا دوماً اخترنا الألم.

iii

عندما صحوت في الليل، تمنيت أن يطول النهار لأراه وهو يأخذ الكآبة من صدري. وعندما صحوت خلال النهار، أردت أن يأتي الليل لأنام وتنتهي الشمس من تعذيبي.

iii

سأغفو يوماً في شارع ممتلئ بالضجة. لن أخاف. لن يدهس المارة أصابعي هذه المرة. سأستلقي على هاوية الرصيف وظهري مسترخ محركة ذراعي في اتجاهات متوازية لأطفو.

* مصر

إدوارد مونخ ـ «انفصال» (زيت على قماش ـ 1896)

قصة قصيرة

كليم

سعد هادي*

كنت أحلق ذقني وأردّد ما يخطر على بالي من كلمات حين فتح لاجئ من أفغانستان باب غرفتي وقال: ـ ما هذا الشعر العذب الذي تنشده؟ أين تعلمت لغة الداري؟ ـ أنا أهذي فقط، أردّد أصواتاً بلا معنى.
ابتسم كأنّه لم يصدق ما قلته وأغلق الباب.
بعد لحظات عدت لأردّد أصواتاً أخرى، ففتح لاجئ آخر من فيتنام الباب وهتف بي: ـ يا للجمال، كيف حفظت كلمات هذه الأغنية؟ إنها أشهر ما يغنيه العشاق في هانوي الآن. ـ هذه ليست أغنية يا هَانْ هَايْ، إنها أصوات ينطقها لساني بدون قصد.
استدار وهو يغمغم تاركاً الباب موارباً.
أكملت حلاقة ذقني وحين ذهبت إلى الحمام الذي يجاور غرفتي، عدت لأهذي بدون أن أعرف لماذا.
طرق أحدهم باب الحمام فصرخت: ـ من أنت وماذا تريد؟ ردَّ عليَّ كينو الغيني بصوته الأجش: ـ من علّمك تعازيمنا السحرية يا هذا؟ لا أحد من خارج قبيلتنا يعرفها، نحن نردّدها في طقوسنا وصلواتنا فقط. ـ إنني أتكلم مع نفسي يا عزيزي ولا أدري ماذا أقول. ولكنني فهمت كل ما نطقت به، كأنني أصغي إلى فردٍ من قبيلتنا.
حين خرجت من الحمام، قال لي تيبو الأربعيني النحيل ذو اللحية البيضاء، والقادم من بوليفيا: ـ أكنت أنت من يترنم بتلك الأنشودة باللغة الأيمرية؟ إنها أنشودة الفلاحين عند سفوح جبال الأنديز.
نظرت إليه ولم أقل شيئاً، فكّرت أن الجميع يتآمرون عليّ ويحاولون أن يسخروا مني، لسبب لا أعرفه.
وقفت أمام المرآة في غرفتي وبدأت أتكلم بصوت خافت، كلماتي هي نفسها بلا تغيير وكذلك الأصوات التي أنطقها، فلماذا يفسرها الآخرون كما يشاؤون.
ارتديت ملابسي وذهبت إلى المطعم. رأيت أصدقائي الصينيين يجلسون كالعادة متقابلين على مائدة واحدة، يأكلون الخبز المنقوع في عصيدة الشوفان ويرتشفون الحليب في صمت.
جلست على مائدتهم ووضعت طبقي أمامي.
التفت إليَّ كبيرهم كو يوان وزمَّ شفتيه، اعتقدت أنه يقصد: ـ لماذا تجلس أمام طبقك بدون أن تأكل؟ فقلت: ـ لم تزل العصيدة ساخنة، سأنتظر حتى تبرد.
رفعوا أعينهم جميعاً عن أطباقهم ونظروا إليَّ فأضفت: ـ أنا جائع ولكنني لا أريد أن أحرق فمي.
وضعوا ملاعقهم جانباً وضحكوا ثم خاطبني كو يوان: ـ لا يهمني أنك ستأكل أو لا تأكل، أخبرني بصدق أين تعلمت لغة الهان؟
وقال سون بنّ الذي يجلس على يمينه: ـ أنت تنطقها بلسان فصيح كأنك صيني.
واصلوا ضحكهم بينما تركت طبقي ونهضت، فكّرت أن أعود ثانية إلى غرفتي وأغلق الباب ولا أتكلم مع أحد.
عند باب المطعم، رأيت أنيتا السويدية موظفة الاستقبال ومعها مساعدها المغربي سليمان، حدقت في وجهي كأنها تبحث عن شيءٍ ما ثم همهمت: ـ يبدو أن ورم ضرسك قد اختفى.
أضافت وهي تشير إلى نهاية الممر: ـ ومع ذلك، تعال معي إلى غرفتي لكي أهيئ لك استمارة التحويل إلى المستوصف.
وبدلَ أن أقول لها إنني لا أشكو لا من ألم الضرس ولا من سواه وأنها ربما خلطت بيني وبين نزيل آخر في هذا الملجأ الكئيب طفقت أتحدث بانفعال وبجمل مرتبكة ومشوشة عما يحدث لي منذ ساعة.
التمعت عيناها البنفسجيتان الواسعتان وسألتني وهي تبتسم: ـ أين تعلمت السويدية أيها العراقي الظريف؟ كيف تنطقها هكذا؟ لقد قلت لي قبل أيام أنك لا تعرف سوى بعض الإنكليزية.
قلت بصوت متهدج: ـ أهذا معقول يا أنيتا؟ أتحاولين أنت أيضاً أن تسخري مني؟
مدَّ سليمان عنقه من خلفها وتمتم: ـ يا لمفاجآتك التي لا تنتهي، وها أنت تتكلم الأمازيغية كأنك جئت من قرية نائية في الصحراء المغربية.
واصلت التحديق في وجهيهما حائراً، لم أعرف بماذا أردّ، كيف أعبّر عن خيبتي وألمي، ثم استدرت واتجهت نحو باب البناية.
سرت لبضع دقائق في الشارع الذي يؤدي إلى الغابة، وحين نظرت إلى أعلى رأيت هدهداً يحلّق فوق رأسي، ظلّ يرتفع وينخفض قبل أن يسألني: ـ إلى أين ستذهب أيها الإنسان؟ ـ لا أدري، سأواصل السير في مسالك الغابة وأحراشها حتى أتخلّص من حزني وغضبي.
وسألتني شجرة صنوبر كنت أمر في ظلالها: ـ ما الذي يحزنك أو يغضبك؟ ـ لا أفهم ما الذي يحدث لي منذ أن استيقظت، لعلّي جننت، أنا أتكلم مع كلّ من أراه بلساني وأفهم ما يقوله لي، ولكنني لا أعرف الآن أي لسان منها هو لساني الذي كنت أتكلم به من قبل.
ثم سألتني زهرة برية قرب الشجرة إلى متى سأبقى في الغابة، فرددت عليها بما لا أتذكره، وسألني أرنب سؤالاً آخر فرددت عليه بكلامه، وحرّض ذلك سنجاباً ليضحك على لكنتي قائلاً: ـ إنها اللكنة نفسها التي تنطقها البطاريق في شرق الأسكا.
اعترض لقلق عجوز وتمتم: ـ بل إنها تشبه الأصوات اللامفهومة التي تنطقها أسماك الترويت في نهر العاصي لتحذّر صغارها من الوقوع في شباك الصيادين.
وتردّدت في الهواء الذي حلّقت فيه، كانني لم أكن على الأرض يوماً، كلمات وهمهمات ودمدمات وهمسات واختلاجات لا حصر لها، لم أحفل بها ولم أرد عليها، لا أدري لماذا، هل لأن لساني قد انعقد؟ أم لأنني لم أجد جدوى من الرد؟

* العراق/ فنلندا

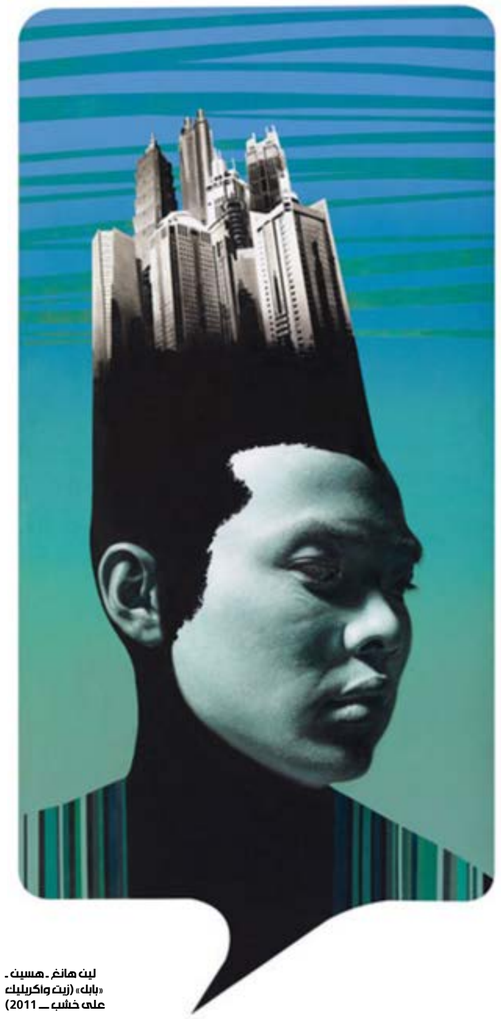

لين هانغ ـ هسين ـ «بابل» (زيت وأكريليك على خشب ــ 2011)

نص

خسارات في رفوف المكتبة

باسم سليمان*

هناك شبَهٌ بين ترتيب الكتب على رفوف المكتبة، وترتيب الخسارات والهزائم في الحياة. الترتيب أسلوب تنظيمي، تصنيفي، كي نسهّل على أنفسنا الوصول إلى الكتاب الذي نريده. لا يجب أن نقضّي وقتاً ونحن ننظر إلى العناوين المترَبّعة على العمود الفقري للكتاب، حيث شدّت إليه الصفحات عبر خُيوط أو صموغ. نمدّ يدنا ونلتقط الكتاب كطعنة خاطفة في الظهر من صديق قديم. يتهاوى الكتاب سريعاً كراية انفضُ عنها الجنود، ومن ثمّ نبدأ بالقراءة.
الخسارات والهزائم حاضرة في حياتنا على ذات الشاكلة، لكنّ الفرق يكمن في أنّها من تبادر لسحبنا من مكتبة الآن، إلى الماضي لتقرأ فينا حيواتها، التي تطفّلت على خضرتنا، التي كانت يوماً قادرة على التسبب بعمى الألوان من أزهارها.
والآن نُقرأ ونصدرنا مفتوح أمام أعين الخسارات والهزائم. تقلّبنا ببطء وتستلذ بكلّ حرفٍ منّا. مع الوقت، تصبح عودتنا إلى المكتبة انتقائية، اختيارية. قليلة هي الكتب، التي نعود إليها. لكن ماذا نفعل مع الخسارات والهزائم؟
لربما علينا أن نصنع متاهة، نغري الخسارات أن تلجها والهزائم أن تقيم فيها، هكذا نصعّب من وصولها إلينا، ونقلّل من تمدّدنا أمامها على طاولة المشرحة، كأنّنا جثة تهوى الهزائم والخسارات أن تبحث فينا عن موت غير طبيعي.
العلاقة مع الحياة كقراءة الكتب، فلا يمكن العودة إلى كتاب أو الاستمرار في قراءته، ما لم يكن قادراً على صناعة تلك المتاهة التي تحمينا من هجمات الهزائم والخسارات.
ارم الكتب التي لا تصنع متاهتك، سواءً كانت وطناً، عائلة، حبّاً، ديناً. وعد للكتب التي تصنع متاهتك التي أنت سيدها، أو اكتُبها.

* صافيتا

هرين فريدفينست ـ «كتب» (2005)

فكر

«حين يستيقظ الإسلام» لمحمد أركون: إمكانات الإصلاح وعَقَباته

حسن نصّور

يُعدُّ عنوانُ كتاب المؤرّخ والمفكر الجزائري الراحل محمّد أركون (1928-2010) «حين يستيقظ الإسلام» الذي انتقل أخيراً إلى العربية (دار الساقي، نقلهُ عن الفرنسية هاشم صالح، طبعةً أولى 2019) عنواناً إشكالياً يفتح الشهيّة على النقد والقراءة. فالعنوان، بحدّ ذاته، يفترض أن الإسلام لا يشير إلى المنظومة العقدية الشعائرية التعبدية بمعزل عن المجتمعات المسمّاة راهناً مجتمعات إسلامية، بل يحيل إلى معطيات حيوية كامنة غير مرئية يستبطنُها هذا الإسلام طوراً بعد طور. معطياتٌ تتمركز حول النص القرآني/ الوحي، وتستدعي على الدوام التفكير في ماهية النظرية المعرفية التي يمكن أن تستنبط في المجال الاجتماعي الإسلامي، فضلاً عن التساؤل الدائم عن طبيعة نظرة المسلمين، أفراداً ونخبةً ومثقفين، إلى ذواتهم وإلى دينهم لا كمعطى إيمانيّ فقط، بل كإمكانية انخراطيّة في منظومة المعارف والعلوم الإنسانية الحديثة الغربية المنشأ. نصوصُ الكتاب المجموعةُ، بحسب صاحبة التوطئة وهي زوجة أركون ثريا اليعقوبي، تشكل جزءاً محدّداً من آخر ما كتبَ أركون واشتغل. كلّ فصل/ نصّ يغوص في مواضيع طالما وردت في أشغال الكاتب ومؤلفاته السابقة، وتحديداً ما يتّصل بمفهوم الإسلام المعاصر وقضايا التجديد والإصلاح وكيفية الخروج مما يسمّيه أركون «السياج التشريعي الدوغمائي» الذي يكبّل هذا الإسلام. أما المضافُ في ما بين أيدينا، فهو تطرُّق النصوص لمجال علم النفس عبر نصّ الفصل الثالث من الكتاب، وهو نصّ ناتج جزئياً عن مداخلة ألقاها في مؤتمر فاس الثاني الذي نظّمته الجمعية الألكانية الدولية للتحليل النفسي أيار (مايو) 2006، وكذلك تطرُّقها إلى وضع المرأة في التشريع الإسلامي.

يتميّز فكر أركون في مجمل كتاباته، وعلى نحو ما هو ظاهرٌ في متن هذه النصوص، بالقدرة على تحشيد كمّ من الطروحات والخلاصات التي انتجتها العلوم الإنسانية في الغرب، في سبيل أشكلة المسلّمات التي تهيمن على واقع الإسلام والمسلمين. والأشكلة ليست، في العمق، إعادة إنتاج تساؤلات النهضة المتصلة بثنائيات تقدم الغرب وتخلف المسلمين أو تساؤلات التجديد، بل إن الأشكلة تتمحور عند أركون في الحفر أبعد من تلك التساؤلات وعلى غير صعيد. يطرح أركون مثلاً إمكانية «تفكير الإسلام» عبر تدشين المدونة الإسلامية الكبرى الجامعة عبر فحص وتجميع المدونات الأرثوذوكسية الثلاث الكبرى. لكنّ هذا التدشين سوف يكون مُتصوّراً عند أركون من خارج ترسيمات وتحديدات المؤسسة الدينية الرسمية، في سبيل استكشاف إمكانيات المدونة الجامعة المتجدّدة في فضاء إيستميّ مختلف عن الفضاء القروسطي الذي نشأت وتبلورت في طيّه هذه المدوّنات.

عملياً، لا يمكن لقارئ أركون إلّا أن يراوده السؤالُ الإشكالي التالي: ماذا يعني أن يكون المرءُ مسلماً اليوم؟ أو كيف يكون الإنسان مسلماً في المجتمعات المسمّاة إسلامية اليوم؟ إنّ تفكير الإسلام Penser l'islam تركيبٌ يختصر، ربما، الهمّ الأركوني، كتابةً ونقداً، في الانشغال بماهية النص القرآني وامتداداته المتشعبة. لقد فصّل صاحب «قراءات في القرآن» طوال عقود، وربطاً بما مرّ أعلاه، في مسألة الحاجة الماسّة إلى ما يدعوه «انتزاع الإسلام من عزلته المفهومية»، أي وضع الإسلام كنص موحى به، وكمدونات عقدية فقهية مقفلة على محك العلوم الإنسانية الحديثة، لا سيما اللسانيات والسيميائيات في سبيل كشف الآليات النصّية الداخلية بأبعادها الرمزية وأنماط اشتغالها في الفضاء الاجتماعي العام، وذلك كي يُصار إلى فهم كيفية تشكّل الأرثوذوكسيات الدينية الإسلامية (سنية، شيعية، خارجية) التي تبدو في ظاهرها متناقضة إلّا أنها تعكس، في العمق، طرائق شبه متماثلة في خلق المقدس وتزخيم الرؤية الأسطورية الرمزية حوله وتجيير طاقة المخيال الاجتماعي في سبيل تدشين محظورات في شتّى الحقول المعرفية يعسرُ تجاوزها. بعدُ مفهوم الإصلاح مفهوماً إشكالياً ملحّاً على كلّ مفكر في الإسلام. في هذا السياق، يطرح صاحب «تأصيل الأصول في الإسلام» السؤال المركزي التالي: هل نستطيع التحدّث عن نموذج أعلى للإصلاح؟ لا يغيب عن بال أركون أن النماذج الإصلاحية الإسلامية (محمد عبدة مثلاً لا حصراً) رغم استيعابها لمنجزات وإيجابيات النهضة الغربية لم تستطع الخروج من فكرة استعادة النموذج النبويّ المكتمل عند كل مقاربة للإسلام. مثلُ هذه الاستعادة تغفل المنهجية التاريخية، أو بتعبير آخر تغفل التراكمات التاريخية المرئية وغير المرئية، ما يجعل كلّ استعادة للنموذج الأول تقعُ في فخ التزييف. فالشروط التاريخيّة والنفسية والاجتماعية للعصر الراهن تختلف عن شروط الماضي، أو بتعبير آخر، إن لكلّ حقبة إيستيميتها الخاصّة ورهاناتها الفكرية التي لا تنتمي بالضرورة للحقب السابقة. يضيء ملحق الكتاب (مقابلة أجرتها تسعديت ياسين مع المؤلف ونُشرت سنة 2000) على المجتمع القبائلي في الجزائر وتحديداً إشكالياته المجتمعية الداخلية وأنماط اتصاله بالحداثة. هنا، يحاول أركون فهم منابع التقديس التي أحاطت بالأولياء الصالحين في منطقة القبائل، ونعني المرابطين الذي وفدوا إلى المنطقة من المغرب الأقصى قبل بضعة قرون واحتلوا نتيجة المكانة الدينية التدريسية ونطقهم العربية الفصحى واحتكارهم «المجال الأخروي» موقعاً مرموقاً ينمار عن موقع السكان الأصليين. على أنّ صاحب «العلمنة والدين» يعترف في سياق الحديث عن مجتمع القبائل بالحاجة إلى التوسع في دراسة هذه الظاهرة، ومرةً أخرى بوضعها على محك المنهجيات الحديثة في الرؤية إلى مثل هذه الجماعات الأصلية، لمعرفة الآليات العميقة لتشكل الثقافات الشعبية القبائلية (الأمازيغية) واشتغالها (وهي تقاليد سابقة حتى على الإسلام) مخلّطةً بالوافد الدينيّ التشريعي: «وبما أنهم يعرفون القراءة والكتابة والحساب وتلاوة القرآن ونسخه، اكتسبوا نوعاً من الهالة أو الكاريزما لدى السكان ذوي التراث الشفهي الذين لا يعرفون القراءة والكتابة (...) وهم يتمكّنون بسهولة العصبيات السلالية المحلية عصبيات اللحم والدم (...) يتحدثون باسم شريعة الله ونبيه وحكمهما. وهي شريعة محترمة بل مقدسة عند الجميع. هذه الآليات والوظائف الشغالة انتشرت في كل الفضاء المغاربي بفضل توسع الطرق الدينية المرتبطة بأساليب شتّى وبمعلمين مؤسّسين مشهورين بأنهم «متصوفون» (ص228)». في المجمل، يضعنا أركون كقرّاء عرب، كلّ مرّة، أمام غزارة منهجيات أكاديمية يرى أنها ممرّ إلزامي في وقتنا لتعقّل ظاهرة النص المركزيّ المؤسِّس (القرآن) والنصوص الرديفة في التراث الفكري العربي، سواءً المنهجية التاريخية أو الاجتماعية السوسيولوجية أو الأنتروبولوجية أو اللاهوتية النقدية. إلّا أن هذه المنهجيات على أهميتها تظلّ تطرح في ذهن المتلقّي الإشكالية المركزية العميقة ونعني إشكالية القطيعة الأكاديمية الغربية (التمركز)، وبالتالي مشكلة الرؤية الذاتية لنصوص التراث الكبرى عبر منظار هذه الوضعية التي تقيم فيها الذات ذاتَ(نا)، تحت مسمّى الحداثة والموضوعية، في موضع من شأنه أن يطمس مراراً وتكراراً مساحات غير مرئية قد لا تقوى هذه المنهجيات على الإحاطة بكلية دلالاتها، لأنها مساحات متّصلة على نحو وثيق بالتشكّل الهويّاتي العميق للشخصية العربية الإسلامية في سياق ميتا-تاريخيّ إيمانيّ باطنيّ بالغ الخصوصية، وهو تشكّل شعوريّ سيّال وخلّاق قائم في الاتّصال الشعوريّ المخصوص بالبنية اللغوية النصيّة الفائقة.

«تفكير الإسلام» تركيبٌ يختصر، ربما، الهمّ الأركوني، كتابةً ونقداً

قصة

خضير فليح الزيدي: محنة أن يكون اسمك صدّام حسين!

خليك صويلح

أن تحمل اسم ديكتاتور مثل صدّام حسين، ستدفع الثمن مرتين! مرّة خلال حياته، ومرّة ثانية بعد مماته. في بلاد مثل العراق محكومة بالانقلابات والحروب والخوف وتقديس الزعيم، سوف تتناسل الحكاية بجرعات كبيرة في اقتفاء حياة شخصيات وجدت نفسها ضحية نموذجية للعنة الاسم. يلتقط خضير فليح الزيدي في روايته «المدعو صدّام حسين فرحان» (دار سطور) بذرة الحكاية من ماسي تشابه الأسماء، خصوصاً إذا كان اسمك متطابقاً مع اسم شخص آخر مطلوب لجهة أمنية بتهمة الإرهاب. في دائرة الأحوال المدنية، سيلتقي كاتب معروف أثناء وجوده في المكان لاستعادة اسم جدّه الرابع بقصد إزالة الشبهة عن اسمه بعشرات ضحايا تشابه الأسماء، هكذا يقع على عتبة سردية لافتة تقوده إلى شخصيتين تعيشان المحنة نفسها: عبد الكريم قاسم الحيالي، وصدّام حسين فرحان. مرآة معاصرة للإحالة إلى انقلابيين، انتهيا بالإعدام. صورة تختزل تاريخ العراق المطلّخ بالدم والعنف والرعب. سيكتب عبد الكريم قاسم، الموظّف السابق في وزارة الخارجية، رقم هاتفه على عملة ورقية، متأمّلاً أن يرنّ هاتفه بصوت كائن ما يكسر عزلته ووحشته وخواء حياته بعد موت زوجته، وهجرة ابنه إلى السويد، فيلتقط صدّام حسين فرحان الإشارة، ليروي حكايته مع محنة اسمه. سيدفع صدّام حسين فرحان فاتورة باهظة من الخسارات تحت يافطة «هذا ما جناه أبي عليّ». الأب الذي أهداه هذا الاسم/ الفخّ، شخص وصولي، ومنافق، ومهمّش، وجد في سيادة النائب، ثم الرئيس لاحقاً أيقونته المقدّسة، متقدّماً حسين فرحان، ما يمكن اعتباره ثغرة سردية في مجرى الحكي. ذلك أن زمن «الياملة» المتقالية، يموت الآخر بمخالب مع جحيم الثاني، كان العتبة الأساسية في عسكرة المجتمع العراقي، وما انزلاق الأب إلى هاوية النفاق إلا ترجيع لتلك الفترة المضطربة التي أغلقت القوس الحزبية في الحي، إذ كان حالة صوتية لا أكثر. وكان على الابن أن يرقى إلى مقام صاحب الاسم الأصلي، وتحمّل جرعات الهزء والسخرية المبطنة من النسخة الأصلية والمزوّرة في آنٍ واحد، لكنه سيحاول تقليد هيئة الرئيس فوق خشبة مسرح مهجورة بعروض ذاتية فاشلة، قبل أن يستثمر براعته في الرسم، متفرّغاً لتصاوير القائد في جداريات لا تُحصى بقصد كفّ البلاء وطلباً للسلامة الشخصية باعتباره شيوعياً مراقباً. التحاقه بجبهة الحرب العراقية الإيرانية وضعه في شباك أخرى أشدّ وطأة، وفي محنة مزدوجة، إذ كان عليه التوقيع يومياً لإثبات وجوده في أرض المعركة من جهة، وتذمّر الضباط من إرسال تقرير يومي عن سلوكه من جهةٍ أخرى.

القماشة الذاتية الملطّخة بالعار هي نسخة ثانية من جداريات القائد التي سنُمحى وتبهت ملامحها تدريجاً بتأثير حرارة الشمس الملتهبة والخسارات المتعاقبة، وانعكاسات الحصار على مناخ البلاد، إذ تتراجع قيمة الجدارية إلى كيس عدس أو طحين أو سكر، مقابل ترميم ملامح القائد. كان هذه الجداريات أرشيف للاحتضار لا أكثر، رغم الحملات الإعلامية المتلاحقة في ترويج نصر وهميّ. من ضفة ثانية، تعكس مرايا القائد في صوره سوسيولوجيا مجتمع مفكّك وحائر بين بداوة تمثلها صورته بالزي القتالي، وأخرى بالنياشين العسكرية، وثالثة بقبعة وسيجار. حداثة معطوبة وملفّقة محمولة على خطاب نفاق، وقيم زائفة، وموتى بالآلاف في حرب عبثية تؤطرها سرديات خاطفة في حوّار غير متكافئ بين عبد الكريم قاسم، وصدّام حسين فرحان، ما يمكن اعتباره ثغرة سردية في مجرى الحكي. ذلك أن زمن «الياملة» المتقالية، يموت الآخر بمخالب غوريلا تخنقه ليلاً، بانتفاء حاجة الأول إلى إنصات الثاني لحكايته. هذا الاحتضار الشاقولي لسيرة الراوي يختزل عملياً احتضار صورة البلاد على عصبية قبلية وأمراض طائفية وقتل مجاني وهجرات قسرية، لم يفحصها النص بعمق، مكتفياً باقتفاء كؤوس الشاي، عدا تعليقات هامشية لا ترقى إلى مستوى المواجهة بين الشخصيتين. فهمنا ينصت البعثي باهتمام إلى الشيوعي الذي هيمن على مركزية السرد أكثر مما ينبغي، كان سطوة الاسم وحدها من أنقذت مركب الراوي من الغرق، في مجاز موازٍ لآلية الحكي في «ألف ليلة وليلة»، فما أن ينهي صدّام حسين فرحان رواية «الياملة» المتقالية، يموت الآخر بمخالب غوريلا تخنقه ليلاً، بانتفاء حاجة الأول إلى إنصات الثاني لحكايته. هذا الاحتضار الشاقولي لسيرة الراوي سيواكبه لفرط انفعاله. ولكن مهلاً، هناك محنة تالية، فبعد احتلال العراق وإعدام الرئيس، تعمّ الفوضى في البلاد، وتثار الغوغاء من كلّ شخص كان محسوباً على النظام «اجتثاث البعث»، وفي مقدمة هؤلاء رشام جداريات الرئيس، فيضطر إلى الفرار نحو الأردن: «هربتُ وتركت البلد بعد أن خلعتُ اسمي على الحدود، كان عليّ أن أفكّر باسم آخر حتى يستقرّ البلد واعود من جديد.. كان اسمي هو الجريمة». يفتتح خضير فليح الزيدي روايته بحادثة شخصية تتعلّق بمشكلة تشابه الأسماء، كانت بالنسبة إليه هي «بيضة الحكاية» التي سيرويها لاحقاً بفضاء سردي آخر، منوّهاً إلى وجود نحو 500 صدّام حسين آخر، يحتاج إلى من يروي حكايته. سنتنبّه إلى أن ثقل بيضة الحكي وغرابة السيرة يحتاجان إلى حرافة سردية أعمق بإزاحة الشفوية المفرطة وتحريرها بلاغياً بما يتلاءم مع الأهوال والمحن التاريخية المتعاقبة على العراق أولاً، وحجم الأوجاع المتراكمة في سيرة الشخصيتين ثانياً. على الأرجح، إن اللجوء إلى النبرة التهكمية بما يخصّ «المدعو صدّام حسين فرحان» أفقدت الشخصية بوصلتها إلى حدّ ما، وبدت بلا رافعة مرجعية ثقيلة عن تاريخانية العنف في هذه البلاد المنكوبة، وإذا بقماشة السرد تتشظى في اللهاث وراء الوقائع المضحكة أكثر من اعتنائها بالمصائر التراجيدية للشخوص، ثمّ سنستغرب مرّة أخرى، غياب حصة عبد الكريم قاسم من الحكي ومساجلة الآخر، ذلك أن تاريخ عراق ما بعد الملكية مثل وتر مشدود بين حقيبتَي هاتَين الشخصيتين؛ فقد انتهى الأول بسحل جثته في شوارع بغداد، والثاني مطارداً من الاحتلال الأميركي قبل القبض عليه في جحر ثم إعدامه. وفي المقابل، علينا ألّا نغفل براعة خضير فليح الزيدي في التقاط فكرة روائية مغايرة في بناء مثلث (المؤلف/ والراوي/ والمتلقي) في تشابكات سردية، متوترة حيناً، وخافتة طوراً، تبعاً لاعترافات الراوي، وتمزّقات الهوية.

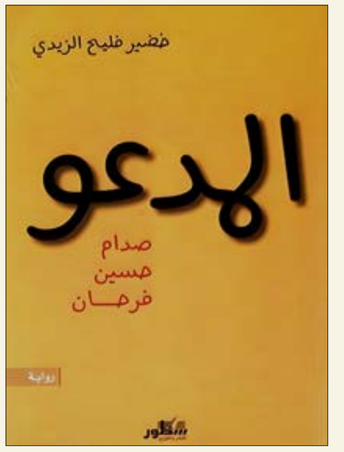

صورة تختزل تاريخ العراق الملطّخ بالدم والعنف والرعب

رواية

محمد جبعيتي: فانتازيا الأحلام والأوهام

نبيل مملوك

«لا أدري إن كنتُ فعلاً محظوظاً أو سيئ الحظ. لقد اختلط عليّ الأمر». بهذه العبارة يُنهي الكاتب الفلسطيني محمد جبعيتي روايته الأخيرة «غاسل صحون يقرأ شوبنهاور» (دار الآداب). العبارة تصلح لكي تكون سؤالاً موجّهاً من «نوح» الشخصية «الملك» في الرواية إلى محمد جبعيتي القارئ والكاتب معاً، فالنصّ الذي حمل على ظهره طيف شوبنهاور أوقع الكاتب في شباك أهدافه، وأحياناً في أكثر من شرَك.

بداية الرواية التي تتكون من 24 فصلاً، كانت برسم «نوح»، الشخصيّة الرئيسة فيها، من المستقبل إلى الماضي وصولاً إلى الحاضر، ما جعل النصّ أشبه بمجموعة قصص قصيرة مضغوطة في قرص مدمج أدبيّ رديف لرواية تدخل من باب إهداء غير مألوف، لتمرّ بهامش مشبع بالمبالغة صاحبه، وصولاً إلى صيف 2017 حيث يتكوّن وعي القارئ بشكل ضبابيّ شبيه بمريض استيقظ للتوّ من غيبوبة طويلة، ليرى نفسه مشدوداً نحو قطار سريّ سلس منساب من أحداث وأخبار قابلة للحدوث مع أيّ كان، ومن ذلك استرجاع «نوح» لما راوده من مصائر عام 2013: تخرّجه الجامعيّ، دخوله في مرحلة البطالة، ممارسة المهن الشاقة، إلخ... كلها كانت دافعاً إضافيّاً للولوج في دهاليز الرواية، واستقطاب القارئ الشاب بشكل خاصّ. «أخذ يضحك من جديد ساخراً: أتفلّتُ حياتك على قدر كبير من الأهمية؟ لستُ سوى خَرِيج جامعيّ بائس، عاطل عن العمل، ما هي الأحداث العظيمة التي مررتُ بها؟ قصصٌ حبّ فاشلة» (ص 16).

يُضاف إلى ذلك نجاح الكاتب في نظم الأحداث، وضبط إيقاع النصّ، وحبكه بطريقة واقعيّة «مهندَمة» من دون الحاجة إلى الإفراط في الشعريّة أو استعراض منسوب مخزونه الثقافيّ. جبعيتي أراد من خلال سرد قصّته في نابلس وبيرزيت وأريحا القولَ بأنّ فلسطين رغم الاحتلال الغاصب هي في قلب العالم المتجدّد المكتل بمظاهر العولمة والأزياء والتكنولوجيا والسياحة. داخل فلسطين رغم التعب وصوت الرصاص والتهويل، هواءٌ لا يخلو من السخرية والتراجيديا والشتائم والطرفة و«الحريقة»، لتصبح شخصيّة نوح هنا عبارة عن باص بشريّ متنقّل ينقل لنا تجربة كلّ شاب يحفر بأنامله حياةً في مكان آخر كما يقول ميلان كونديرا.

والملاقت أيضاً في هذا النصّ ارتباط نوح ببطلات ثانويّات مثل رهف، ودينا الصديقة والحبيبة والزوجة الهاربة أخيراً، وتركيز الكاتب على تأثيرهن إلى جانب وفاة الأم وتفاصيل صمم شقيقتَي البطل، بصرف النظر عن محمود المنقذ والمسعف ساعة اللكمات والضربات الموجعة. وإذا افترضنا أنّ اللغة الفطريّة والفصيحة الموزونة هي الجسر الذي نعبرُ من خلاله نحو الشرك الذي وقع به الكاتب، فإنّ عنصر الخيال والسرياليّة والضبابيّة قيّد الكاتب بحلقات مفقودة لا سيّما حين نفّذ نوح عمليّته ضدّ المستوطنين وغاب عن شاشة الإدراك. هل هذا حكما هذيان أم واقع؟ وإذا كان الاحتمال الأخير صائباً، فما هي تفاصيل التفاصيل؟ وهل عجز الكاتب ذو السردية المتينة عن طرحها؟ إضافة إلى ظاهرة تساقط النساء من السماء وارتباطها بأحلام بطل الرواية والصخرة والحديقة ونبوءات دينا التي تزيد من الأسطوريّة، وتبعدنا عن لهفة قراءة الواقع والبحث عن شوبنهاور داخل الرواية، لنصل إلى نهاية الرواية المفعمة بالشوق وانحدار الصدمة وتوقعها حين اختُتمت الرواية برواج سعيد وستمتمر إضافيّ يُبقي نوحَ مجدّداً على قيد حياة قابلة للتكرار.

ويبقى السؤال الذي ينبغي طرحه على الكاتب في الختام: هل يتعلق القارئ بخيط السعادة في النهايات أم أنّ الكاتب هو من يربطها حول خناقه؟ وهل فانتازيا الأحلام والأوهام هي إجابات تبعدنا عن رؤية جبعيتي للحياة من خلال بطل كان ذات صفحة غاسلاً للصحون؟

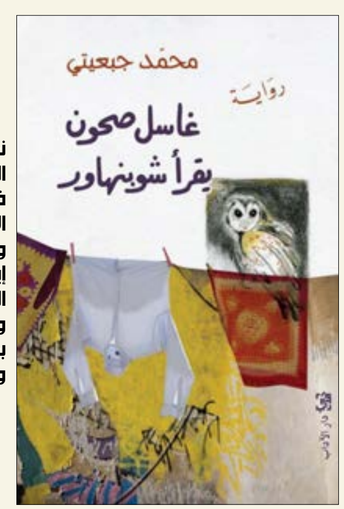

نجاح الكاتب في نظم الأحداث، وضبط إيقاع النصّ، وحبكه بطريقة واقعيّة

لمحات

أحمد الديبش

في وقت يسارع فيه الاحتلال الإسرائيلي إلى سلب الأراضي الفلسطينية، تكتسب الوثائق والجهود الفكرية أهمية مضاعفة للاحتفاظ بالأرض المسلوبة. يرجع «القدس: التاريخ الحقيقي - من أقدم العصور إلى الاحتلال الفارسي» لـ«أكاديمي أحمد الديبش (مركز دراسات الوحدة العربية)» آلاف السنين إلى الوراء من أجل كتابة تاريخ لمدينة القدس الفلسطينية مقابل الروايات الإسرائيلية الزائفة التي يستند إليها العدو لتنفيذ مشروعه الاستيطاني. يعتمد الديبش على نتائج الحفريات الأثرية والمعلومات الأركيولوجية الحديثة وغيرها من الدلائل لمواجهة ربط المزاعم الصهيونية بين مدينة القدس والرواية التوراتية.

فيرجينيا وولف

هناك مساحة ضئيلة للحوار في «إلى المنارة» (1927)، بينما تترك فيرجينيا وولف الرواية بمعظمها للتأملات والملاحظات واستعادة لمشاعر الطفولة، وعلاقات البالغين المثقلة. الرواية التي صدرت أخيراً باللغة العربية بترجمة إيمان السعيد (دار الرافدين)، تعتبر من أهم الروايات الصادرة باللغة الإنكليزية في القرن العشرين، وتجري أحداثها في جزيرة سكاي الاسكتلندية، في المنزل الصيفي لعائلة تقرّر زيارة المنارة. تبني الكاتبة البريطانية روايتها على تأجيل العائلة المستمرّ لهذه الزيارة، وذلك من خلال الشاحنات المعقّدة بين أفراد العائلة، خصوصاً من خلال الصراع بين النساء والرجال فيها والقرارات التي يتخذها ويتراجع عنها الطرفان.

يوديت شالانسكي

تجمع الكاتبة الألمانية يوديت شالانسكي في مؤلّفها «فهرس بعض الخسارات» مرجعيات علمية وفلسفيّة وأدبيّة، تجعله كتاباً استثنائياً احتلّ موقعاً بارزاً في المؤلّفات الألمانية الصادرة سنة 2018. سيصدر المؤلّف قريباً عن دار «كلمة» بترجمة سمير جريس. تقترح شالانسكي فهرساً لتراجيديا الزوال والفناء، من خلال استحضار مجموعة من الاختفاءات: لوحة كاسبار ديفيد فريدريك، جزيرة تونياكي، بعض أنواع النمور المنقرضة، وفيلاً في روما، وغيرها من الكنوز التي اختفت إلى الأبد. في الكتاب ستدع هذه الأشياء الزائلة تتكلّم بنفسها، لتقدّم من خلالها أفاقاً جديدة لكيفية التفكير في الزوال والخسارات.

عدي عدنان محمد

اتبع عدي عدنان محمد السيميائية السردية وفق مدرسة باريس كمنهج نقدي لتحليل اللون في الرواية العراقية. في مؤلّفه «اللون في رواية العراقية - من منظور مدرسة باريس السيميائية» (منشورات دار دجلة الأكاديمية للتأليف والنشر والتوزيع والترجمة)، يحاول الأكاديمي العراقي اكتشاف عنصر اللون في الروايات العراقية بوصفه علامة أساسية وفارقة ضمن البنية الرئيسيّة لنظام السرد، كما يحاول قراءة دلالاته ودورها للوصول إلى معنى الأعمال الأدبية التي تدرسها وتتابعها هذه الدراسة الأدبية والسيميائية.

اليزابيث ستروت

تعدّ رواية «اسمي لوسي بارتون» (2016) من أهمّ الأعمال الأدبية التي صدرت باللغة الإنكليزية في السنوات الأخيرة، إذ سرعان ما وصلت إلى قوائم الجوائز الأدبية منها جائزة «بوكر»، بالإضافة إلى انتقالها للخشبة في بريطانيا. الرواية التي تحمل توقيع الكاتبة الأميركية إليزابيث ستروت، ستصدر قريباً عن «دار فواصل» (تعريب: أحمد م. أحمد)، وهي تدخل بلا مواربة في موضوع الصدمات العائلية من خلال علاقة الابنة لوسي بارتون بوالدتها، ضمن أجواء عائليّة مضطربة. في سردها الممتع تتابع ستروت هذه العلاقة، مع مرور سنوات طويلة من الانقطاع بين أفراد العائلة.

رزان إبراهيم

تتطرّق الأكاديمية رزان إبراهيم إلى مجموعة من المواضيع السائدة في أدب الأطفال في كتابها «إشكاليات ورؤى نقدية في قصص الأطفال» (الدار الأهلية للنشر والتوزيع). تخوض إبراهيم في عوالم هذه القصص من خلال مرجعيات نفسية وتربوية، وأخرى فنية وجمالية أسلوبية. يتوقّف الكتاب عند المادّة التراثية وكيفية تطويعها بطرق متعدّدة في أدب الأطفال، كذلك يركّز على ثنائية الواقع وخيال وتوظيفها في بعض القصص التي تعاملت مع الشخصيّتين الفلسطينية. تعرض الكاتبة أيضاً بعض الثيمات التي تبرز دائماً في أدب الطفل مثل التنمر والتمييز العنصري والإعاقة والقضايا الدينية والغيبية وغيرها من المواضيع.

السبت 4 تموز 2020 العدد 4091
الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
كلمات

أوراق

فراشة النار

داميان هيرست ــ من سلسلة «فراشات» (2015)

زكريا محمد *

لم تكن فكرتنا الرومانسية عن الفراشة موجودة في الماضي. فالفراشة لم تكن كائناً سماوياً لطيفاً بجناحين ملونين. بل كانت رمزاً للجهل والطيش، يُضرب بطيشها المثل: «أطيش من فراشة»، يقول المثل. ويقال أيضاً في وصف جهل الفراش وخفته: «فراش النار، جهل الفراشة، خفة الفراشة، حلم الفراشة» (الثعالبي، ثمار القلوب). أما الحديث عن «حلم الفراشة»، فهو تعريض بالفراشة لا امتداح لحلمها: إذ «يقال ذلك كما يقال: حلم عصفور. قال الشاعر: سفاهة سنّور وحلم فراشة/ وإنك من كلب المهارش أجهل». بذا فربط الفراش بالنار ربط سوء وتشهير بالفراشة: «يقال في موضع الذم والهجاء بالطيش والجهل والتهور: ما هم إلا فراش نار وذباب طمع؛ كما قال الشاعر: كأن بني طهية رهط سلمى/ فراش حول نار مصطلينا/ يطفن بحرها ويقعن فيها/ ولا يدرين ماذا يتقينا... وقال: والفراش وأصناف الذباب أجهل خلق الله، لأنها تغشى النار من ذوات أنفسها حتى تحترق» (الثعالبي، ثمار القلوب).

وقد جعل الفراش من ضمن أصناف الذباب، التي مصيرها النار يوم القيامة حسب حديث نبوي. «فراش النار: ذباب النار؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: كل ذباب في النار إلا النحلة» (الثعالبي، ثمار القلوب). النحلة فقط هي الفرقة الناجية بين الذباب. ففي بطونها العسل الذي هو شراب مختلف ألوانه. أما الفراشة، فهي كالذباب يملأ الطمع بطنها: «كان الحسنُ إذا وَعظ يقول: يا لها موعظةً لو صادفت من القلوب حياةً، أَسْمَع حَسِيساً ولا أَرَى أنيساً، ما لهم تَفاقدوا عقولَهم؟ فَرَاش نار وذُباب طَمَع» (ابن عبد ربه، العقد الفريد).

ولأن الفراشة طيش وخفة، فإنّ الرجل الطائش يسمى «فراش» بناء على ذلك: «الفَراش: الخفيفُ الطَّيَّاشَةُ من الرجال» (لسان العرب). وحتى في القرآن، فقد ذكر الفراش في سياق الذم. فالناس في يوم القيامة يكونون فراشاً مبثوثاً «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث» (القارعة 4)، أي في حال من الخوف والفوضى.

وجهل الفراشة وطيشها نابع من الفكرة التي تدّعي أن الفراشة تذهب للنار طوعاً كي تحرق نفسها، أي كي تنتحر. إنها المنتحر النموذجي: «جهل الفراشة: يضرب به المثل، لأن الفراشة تطلب النار لتلقي نفسها فيها، كما قال الشاعر: إذا ما دنا حتف الفراشة أقبلت/ إلى وهجان النار تطلب مخلصاً» (الثعالبي، ثمار القلوب). ويُنسب للنبي حديث يؤكّد المعنى الشائع: «إنكم تتهافتون في النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم» (اليوسي، زهر الأكم). وهكذا فالذين يتحدث عنهم الحديث يندفعون للنار كالفراش، والرسول يأخذ بهم من حُجُزهم، أي أحزمتهم، ليمنعهم من التهلكة. لكن علينا أن نشير إلى أن الفراشة النموذج في هذا كلّه هي فراشة العثّ في البيوت. وهي التي يربكها ضوء قناديل الليل، فتبدو كما لو أنها ترمي بنفسها فيها وتحترق. ويظنّ الدميري أن ذلك نابع من ضعف بصرها: «الفراش: دواب مثل البعوض، واحدتها فراشة، وهي التي تطير وتتهافت في السراج لضعف أبصارها، فهي بسبب ذلك تطلب ضوء النهار، فإذا رأت فتيلة السراج بالليل، ظنّت أنها في بيت مظلم، وأن السراج كوة في البيت المظلم إلى الموضع المضيء، فلا تزال تطلب الضوء وترمي بنفسها إلى النار، فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنّت أنها لم تصِب الكوة، ولم تقصدها على السداد، فتعود إليها مرة بعد مرة، حتى تحترق» (الدميري، حياة الحيوان).

> العشق احتراق. المحبة احتراق. وإن لم تحرق المحبة، فهي ليست محبة. والفراشة هي المحب الأعظم لأنها المحترق المكتمل الأعظم

شعر الحب يغيّر المعنى

لكن شعر الحب أحدث نقلة جدّية بخصوص الفراشة كرمز لاحقاً. إذ أخذ المحبوب يتبدّى ناراً والمحب فراشة ترمي نفسها في هذه النار طواعية. بذا، فرمي النفس في النار ليس انتحاراً، بل تضحية باسم الحب. يقول محمد بن جعفر بن بكر الآمدي:

«يستعْذِبُ القلب منه ما يُعذِّبُهُ
ويستلِذُّ هَواهُ وهو يُعْطِبُهُ
مِثل الفَراشةِ تُدني جسمَها أبداً
إلى ذُبالةِ مِصباحٍ فتُلْهِبُهُ» (العماد الأصبهاني، خريدة القصر).

وهكذا، فالمحبّ مثل فراشة ترمي نفسها في نار المحبوب كي تزيد اشتعالها. أي أن وظيفة الفراشة هي زيادة حدّة اللهب - النور وتقويته. بذا، فهي لا تنتحر بل تضحّي بنفسها من أجل النور، أو من أجل الحب، لا فرق. بذا فهي بشكل ما حارسة للنار، حارسة للهبها. وهكذا تحوّل الجهل الطيش إلى تضحية، وتحوّل الطيش إلى طراز من العبادة. ثم جاء المتصوفة فرفعوا استعارة الفراشة إلى مداها الأقصى. صعدوا بالفراشة إلى مرتبة رمز كوني، وجعلوها استعارة للعشق الإلهي المطلق، كما عند جلال الدين الرومي: «الناس في هذا العالم مثل ثلاث فراشات أمام شمعة متوهجة. الأولى اقتربت بعض الشيء من الوهج، وقالت: لقد عرفت العشق. والثانية اقتربت أكثر ملامسةً الوهج بطرف جناحها وقالت: لقد عرفت العشق. أما الثالثة فألقت بنفسها كلية في قلب الوهج، فاحترقت تماماً وتلك وحدها التي عرفت معنى العشق».

هذا هو الأمر: العشق احتراق. المحبة احتراق. وإن لم تحرق المحبة، فهي ليست محبة. والفراشة هي المحب الأعظم لأنها المحترق المكتمل الأعظم. هي المحب وقد رفع حبه إلى غايته. يضيف الرومي في مكان آخر. «يا أيها العاشق لست أقل من فراشة، ومتى تجتنب الفراشة النار؟». الفراشة لا تتجنب النار ليس لأنها طائشة حمقاء، بل لأن النار جوهر وجودها. فهي بشكل ما جناح للنار. إنها نار مشتعلة بجناحين. وفي أقل تقدير، فهي عابدة من عباد النار. لذا فرؤية الفراش في الحلم: «تدل ... على عبدة النار» (عبد الغني النابلسي، تعطير الأنام في تفسير الأحلام). إنها كافرة مثل عبدة النار. لكنها ليست منتحرة طائشة. إنها عابدة للنار. بل إنها تصير عند الرومي هي الشمعة نفسها، هي النور نفسه. أي أنها ترمي بنفسها في النار لأن جوهرها نوراني. إنها النور ذاته. الشمعة ذاتها. شمعة بجناحين اثنين هي: «وإذا كان ثمة حيوان مثل الفراشة لا يستغني عن نور الشمع ويرمي بنفسه على ذلك النور فسيكون هو نفسُه شمعةً، وإذا ما ألقت الفراشة بنفسها على نور الشّمع، ولم تحترق فلن يكون ذلك شمعاً أيضاً». ولأنها شمعة، فهي تحترق مثل الشمعة. تحرق جناحها كي تنير الظلمة، وتبدّدها. إنها قطعة من النهار في جوف الليل.

وهكذا، أخرج المتصوفة الفراشة من صف أهل النار، وجعلوها في صف أهل الجنة. لقد صارت مثل النحلة، بل أعلى منها مرتبة. فهي لا تحمل في بطنها عسلاً نتذوق حلاوته، بل تحمل في قلبها شوقاً عظيماً يفوق العسل في حلاوته. وبهذا نكون قد انتقلنا من «فراشة العث» إلى «فراشة القز»، أي فراشة دودة القز، التي تمنحنا ثوبها. انتقلنا من الفراش السيئ إلى الفراش الطيب: «فراش القز يدل على الأخيار الذين بذلوا خيرهم وكفوا شرهم» (النابلسي)

عليه، فلدينا تقليدان اثنان بشأن الفراشة. وهما يختلطان أحياناً. ويعرض لنا النابلسي معنى الفراش في هذين التقليدين المتعاكسين، تقليد الخفة والطيش وتقليد العق والتضحية: «الفَراش: تدل رؤيته في المنام على الجهل، وعدم التجارب بخدمة الملوك. وربما دلّت رؤيته على المحبة وإلقاء النفس للتلف. وتدلّ رؤيته على عبدة النار، أو الخوف والجزع، لقوله تعالى: (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث). والفراش عدو ضعيف مهين. والفراش للفلاحين يدل على البطالة والشدة وموافقة النساء السيئات» (عبد الغني النابلسي، تعطير الأنام في تفسير الأحلام).

الفراشة حيرة. فهي من سكان الجنة والنار معاً.

* شاعر فلسطيني